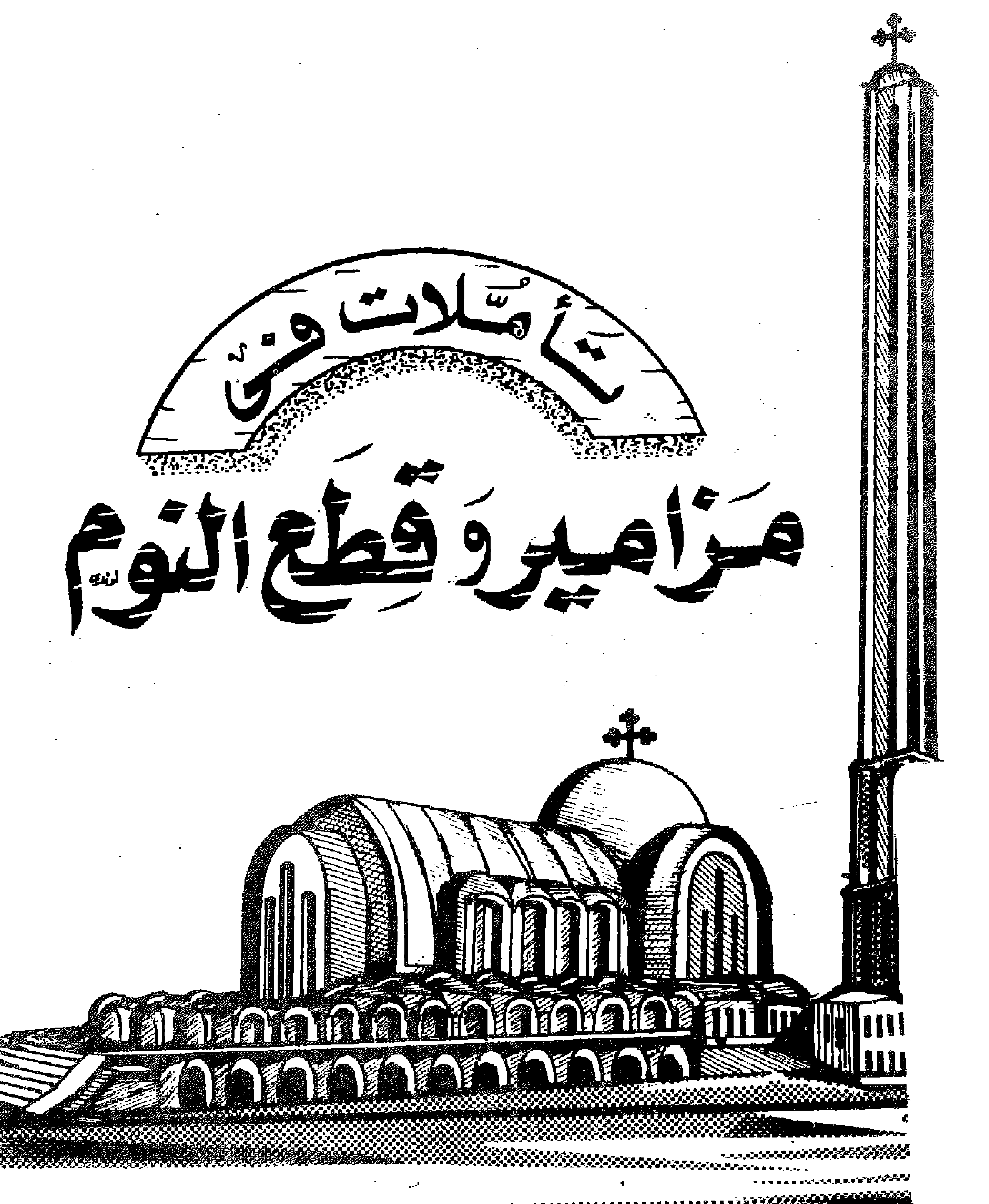
البابا شنوده الثالث

تأملات في مزامير وقطع النوم



اهداءات ٢٠٠٢

بطريركية الأقباط الأرثوذكس

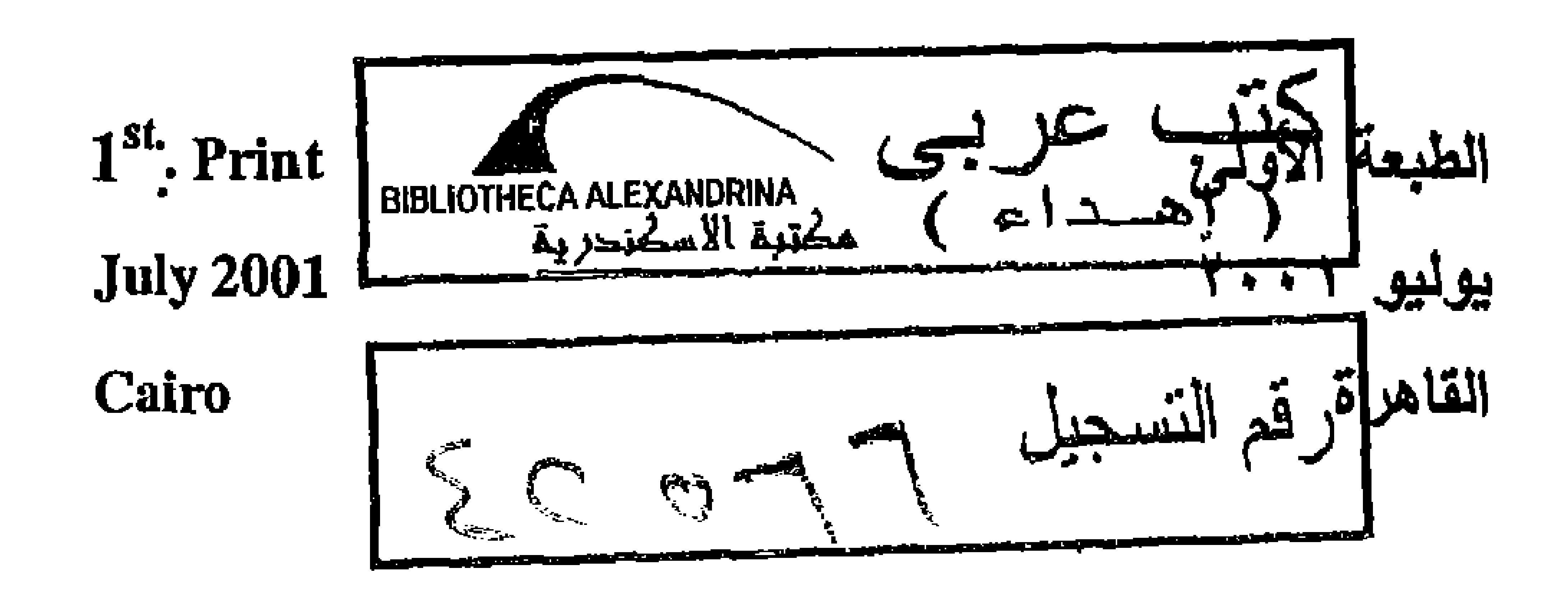
الاسكندرية

البابا شنوده الثالث



Contemplations on The 12th Hour Prayer

By H.H. Pope Shenouda III



1st. Print — الطبعة الأولى

July 2001 — يوليو ٢٠٠١

Cairo — القاهرة

الكتاب : تأملات فى مزامير وقطع النوم

المؤلف : قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث

الناشر : الكلية الإكليريكية بالكاتدرائية – القاهرة

الطبعة : الأولى يوليو ٢٠٠١

المطبعة : الأنبا رويس الأوفست – العباسية – القاهرة

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٠٠١/٩٩٨٩

I.S.B.N. 977 - 5345 - 63 - 4



قداسة البابا شنوده الثالث

مقدمة الكتاب

وضعت لنا الكنيسة المقدسة "الصلوات السبع" لمنفعتنا جميعاً، لتكون صلة بيننا وبين الله طوال ساعات النهار.

ولكننا نلاحظ عملياً أن غالبية المؤمنين يهتمون بالأكثر، بصلاة الغروب والنوم في آخر اليوم، وبصلاة باكر في أول النهار.

ولهذا كان أول ما أصدرته لكم في هذا المجال "تأملات في مزامير الغروب" ثم "تأملات في مزامير باكر".. مع تأملات في مزامير منفردة مثل مزمور "يارب لماذا؟" من مزامير باكر. ومزمور "يستجيب لك الرب" من مزامير الساعة الثالثة.. وبقيت التأملات في صلاة النوم، على الرغم من الإعلان عنها.

حقاً، لقد تأخر هذا الكتاب في الوصول إليك أيها القارئ العزيز ولكن نشكر الله إنه وصل أخيراً.

إنه يشمل تأملات في بعض مزامير النوم، وهي..

١ – من الأعماق صرخت إليك يارب .

٢ – ها باركوا الرب يا عبيد الرب .

٣ – سبحى الرب يا أورشليم .

ثم بعد ذلك قطع صلاة النوم ومنها :

هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل ...

توبى يا نفسى ما دمتِ فى الأرض ساكنة ...

انهضى من رقاد الكسل ...

أيتها العذراء الطاهرة ...

نضع كل هذا بين يديك ، ونرجو الله أن يقبل صلواتك وصلواتنا ...

البابا شنوده الثالث

مِن الأعمَاق
صَرخت إليك يَارب

مز ١٢٩ (١٣٠)

من الأعماق صرخت إليك يارب، يارب استمع إلى صوتى، لتكن اذناك مصغيتين إلى صوت تضرعى.

إن كنت للآثام راصداً يارب، يارب من يثبت لأن من عندك المغفرة.

من أجل اسمك صبرت لك يارب، صبرت نفسى لناموسك.

إنتظرت نفسى الرب أكثر من المراقبين الصبح . أكثر من المراقبين الصبح فلينتظر إسرائيل الرب.

لأن الرحمة من عند الرب، وعظيم هو خلاصه.

وهو يفتدى إسرائيل من كل آثامه. هللويا .

بمناسبة الصوم الكبير الذى هو فترة مقدسة تليق بالتوبة، نود أن نتأمل معاً فى هذا المزمور الذى هو أحد مزامير التوبة المعروفة.

يقول المرتل: من الأعماق صرخت إليك يارب، يارب استمع صوتى. لتكن أذناك مصغيتين إلى صوت تضرعى..".

مِن الأعماق :

هذا المزمور ليس صلاة عادية، بل صرخة خارجة من الأعماق إذ يقول "من الأعماق صرخت إليك يارب"..

فأى أعماق هى؟

من عمق القلب، من عمق الفكر، من عمق المشاعر والأحاسيس، صرخت إليك.

صرخت إليك، من عمق احتياجي إليك. من عمق ضعفي وتعبي.

من عمق السقوط الذي أنحدرت إليه، واحتاج فيه إلى مغفرتك.

من عمق الخطية صرخت إليك، ومن عمق التعاسة التي تجلبها الخطية.

من عمق الشعور بالعجز والفشل الذي يجرني أحياناً إلى الخوف

من الأعماق صرخت إليك يارب، يارب استمع صوتي.

من عمق المشاكل التي تحيط بي، ولا أجد لها حلاً إلا عندك.

من عمق المتاعب والتجارب، التي تأتي من الناس ومن الشيطان.

من عمق أخطار أشعر بها تقترب إليّ.

من عمق خجلي من نفسي وأمامي ضعفاتي وسقطاتي .

من عمق الهاوية التي أنا فيها. مثل يونان الهارب منك، الذي صلّى قائلاً "دعوت من ضيقي الرب.. صرخت من جوف الهاوية.." (يون٢: ٢).

من عمق حزني على نفسي، من عمق خوفي...

من كل هذه الأعماق صرخت إليك يارب، فاستمع صوتي.

✠ ✠ ✠

هناك أشخاص – وهم في الأعماق – ومع ذلك لا يصلون ولا يصرخون .

وآخرون يصلون ويصرخون، ولكن ليس من الأعماق .

أما أنا ففى الأعماق، أصرخ إليك من الأعماق .

أصرخ إليك لكى ترفعنى منها. أنت "المقيم المسكين من التراب، والرافع البائس من المزبلة.." (مز١١٣: ٧).

أنا من عمق ضعفى، صرخت إلى عمق قدرتك .

ومن عمق احتياجى ، صرخت إلى عمق حنانك ومحبتك .

ومن عمق سقوطى، صرخت إلى عمق مغفرتك .

ومن عمق مشاكلى، صرخت إلى عمق حكمتك التى تحل المشاكل.

من عمق الهاوية ، صرخت إلى علو سمائك .

✠ ✠ ✠

إنه مزمور إنسان شاعر بخطيته، ومعترف بها، ويطلب المغفرة

أو هو مزمور إنسان فى عمق ضعفه، يطلب المعونة .

مهما كان فى أسوأ حالة؛ لكنه يصلى. وحقاً إن أعماق التعب والمذلة، تساعد على الصلاة، بل تدعو إليها وتمنحها عمقاً.

إن أعمق صلاة نصليها، نرفعها ونحن فى أعمق التعب.

وقد يسمح الله لنا بالتعب أحياناً، لكى نصلى.

ننزل إلى الأعماق ، فترتفع صلواتنا .

وفى هذا المزمور ، يذكر المصلى اسم الرب ٨ مرات .
ويبدأ بعبارة "من الأعماق صرخت إليك يارب، يارب استمع صوتى".

صَرخت إليك :

كثيراً ما يصلى الإنسان، ولكنه قليلاً ما يصرخ فى صلاته.
فالصراخ درجة أعمق، يدل على مقدار الحاجة، وجدية الصلاة
وهوذا أنا يارب أصرخ إليك، من أعماقى.
أصرخ إليك كطفل يلجأ صارخاً إلى أبيه، القادر على معونته.
وهكذا أنا أصرخ إليك، أيها الحنون، القادر على كل شئ.
إنها صرخة استغاثة، وصرخة إيمان ورجاء واحتياج.
صرخة قوية، تذكرنى بذلك الشاعر المصرى، الذى فى أحد أزجاله شرح قوة صرخته فقال "مثل صرخة غريق بينده لقارب نجاه. بينده بينده بينده، بكل قواه، للحياة.." .
إنها صرخة، وليست مجرد نداء. صرخة تجذب حنان الرب كقول المزمور:
"من أجل شقاء المساكين، وصراخ البائسين، الآن أقوم- يقول الرب - أصنع الخلاص علانية" (مز١٢: ٥).

تذكرنا بقول الرب فى مثل قاضى الظلم "افلا ينصف الله مختاريه، الصارخين إليه نهاراً وليلاً" (لو١٨: ٧).

وتذكرنا بقول الرب "إنى قد رأيت مذلة شعبى.. سمعت صراخهم.. فنزلت لأنقذهم" (خر٣: ٧). وقول الكتاب "صرخوا، فصعد صراخهم إلى الله بسبب العبودية" (خر٢: ٢٣). ما أعمق عبارة "فصعد صراخهم إلى الله" .

إن المزامير تقدم لنا أمثلة من الصراخ والإستجابة، كقوله:

"بصوتى إلى الرب صرخت، فاستجاب لى من جبل قدسه" (مز٣: ٤).

"فى ضيقتى صرخت إلى الرب، فاستجاب لى" (مز٢٠: ١).

"فى ضيقى دعوت الرب، وإلى إلهى صرخت. فسمع من هيكله صوتى. وصراخى قدامه دخل أذنيه" (مز١٨: ٦).

وهكذا يصلى داود "صرخت من كل قلبى، فاستجب لى يارب" (مز١١٩: ١٤٥). "أنصت يارب إلى كلماتى، واسمع صراخى.." (مز٥: ١).

وقدّم لنا الكتاب مثالاً هو صراخ أهل نينوى فى توبتهم ومذلتهم:

إذ نودى فى المدينة "ليتغطّ الناس والبهائم بالمسوح، ويصرخوا

إلى الله بشدة. ويرجعوا كل واحد عن طريقه الرديئة" (يـون٣: ٨).
وقد سمع الله صراخهم، واستجاب لهم ورحمهم.

من العجيب أن أول صراخ في الكتاب المقدس ذُكر في قول الرب لقايين:

"صوت دم أخيك صارخ إليّ من الأرض" (تك٤: ١٠).

✠ ✠ ✠

وفى هذا المزمور، يريد المرتل أن يصل صراخه إلى الله، فيقول:

"من الأعماق صرخت إليك يارب، يارب استمع صوتى".

إستمع صوتى :

طبيعى أن الله يسمع كل ما فى الكون، فما المقصود بكلمة "استمع صوتى". ومثلها عبارة "اسمعنا" فى لحن (افنوتى ناى نان)؟

المقصود ليس مجرد سماع الأذن، إنما الاهتمام والاستجابة.

مثلما نقول إن فلاناً من الناس له "كلمة مسموعة" أى أنها تصل إلى المسئولين وإلى كل المهتمين بالأمر، وتحدث تأثيرها، ويكون لها وزنها وتقديرها. وهكذا عندما يقول المصلى لله "اسمع صوتى".

أى اسمع بالاهتمام، بالقلب بالإرادة، بالاستجابة.

ومن أشهر الصلوات فى هذا المجال، صلاة سليمان يوم تدشين الهيكل.

إذ قال للرب فى ذلك اليوم "لتكن عيناك مفتوحتين على هذا البيت ليلاً ونهاراً، لتسمع الصلاة التى يصليها عبدك فى هذا الموضع. واسمع تضرع عبدك" (امل٨: ٢٩، ٣٠).

وظل يستعرض حالات الشعب المحتاجة إلى معونة من الرب واستجابة. ويكرر فى كل مرة عبارة "واسمع أنت فى موضع سكناك فى السماء" وفى إحدى المرات يقول "وإذا سمعت فاغفر". وفى مرة أخرى يقول "اسمع.. واعمل واعطِ كل إنسان حسب طرقه كما تعرف قلبه". وفى مرة أخرى يقول "اسمع صلاتهم وتضرعهم واقضِ قضاءهم" (امل٨: ٣٩، ٤٩).

✠ ✠ ✠

"اسمع صوتى" تذكرنا بقول المصلى فى المزمور الكبير "فلتدنُ وسيلتى قدامك.. ولتدخل طلبتى إلى حضرتك" (مز١١٩: ١٦٩).

وهكذا يقول فى مزمور آخر "أيها الرب إله الجنود اسمع صلاتى. أصغِ يا إله يعقوب.. التفت إلى وجه مسيحك" (مز٨٤: ٨).

إنه يطلب السمع والإصغاء والاهتمام، بل والاستجابة، كما يقول: "إصغ يارب إلى صلاتى، انصت إلى صوت تضرعى.. استجب

لى" (مز٨٦: ٦، ٧).

✠ ✠ ✠

يقول "اسمع صوتى" ذلك لأن هناك صلوات لا تُسمع، أى لا يلتفت الرب إليها، ولا يقبلها. إنها صلوات مرفوضة.

مثال ذلك قول الرب لليهود أيام اشعياء النبى، حينما كانوا يحفظون الفرائض ويصلون من شفاههم لا من قلوبهم، وهم بعيدون عن الله بخطاياهم. فقال لهم الرب "حين تبسطون أيديكم، أستر وجهى عنكم. وإن أكثرتم الصلاة، لا أسمع. أيديكم ملآنة دماً.." (أش١: ١٥).

✠ ✠ ✠

فهل يمكن أن يسد الله أذنيه، ويصد مثل هذا المصلى؟

نعم، هناك صلوات غير مقبولة، مثل صلاة الفريسى فى مثل الفريسى والعشار (لو١٨: ١١، ١٢). أو صلوات "المرائين فى المجامع وفى زوايا الشوارع لكى يظهروا للناس" (مت٦: ٥). أو كالكتبة والفريسيين المرائين الذين "لعلة يطيلون صلواتهم" بينما هم يأكلون بيوت الأرامل" (مت٢٣: ١٤).

كلها صلوات لا يسمعها الله، أى لا تستحق أن يسمعها الله.

✠ ✠ ✠

فأنا أصرخ إليك يارب، لكى تسمع صلاتى، لكى تدخل صلاتى

إلى حضرتك، لكى تقبلها إليك، على الرغم من خطاياى وعدم استحقاقى، وعلى الرغم من شعورى بعدم وجود دالة حالياً بينى وبينك؟!

كل ما أريده أن تصل صلاتى إليك. وأترك الباقى إلى محبتك، أنت الذى لا تعاملنى بحسب خطاياى، وإنما بحسب رحمتك.

إننا نعرف أن احتياجاتنا تصل إليك، حتى لو لم نصلِّ!

كما قلت من قبل "قد رأيت مذلة شعبى. سمعت صراخهم بسبب مسخريهم.. علمت أوجاعهم.. فنزلت لأنقذهم" (خر٣: ٧).

فعلت ذلك على الرغم من أنهم لم يصلوا وقتذاك.

✠ ✠ ✠

كذلك قد يستمع الرب إلى دموعنا دون أن نصلى .

كما يقول المرتل فى المزمور "أنصت إلى دموعى"

الدموع لها صوت يسمعه الله، حتى ولو بدون صلاة. ولكن لها استجابة من قلب الله الحنون. أو حتى لو كان الإنسان يصلى فى قلبه، وصوته لا يسمع، كما كانت تفعل حنة طالبة من الله نسلاً، دون أن ترفع صوتها" (١صم ١: ١٣).

"استمع يارب صوتى". أشعرنى أنك استلمت صلاتى، وعرفتها. ودخل صراخى إلى أذنيك، ويكفينى هذا.

أصلى أن صلواتى تُسمع. وسأستمر فى الصلاة حتى أتأكد من هذا. واثقاً أنك مادمت قد سمعت الصلاة، فسوف تتصرف.

يقول المرتل بعد ذلك: إن كنت للآثام راصداً يارب، يارب من يثبت، لأن من عندك المغفرة.

إن كنت للآثام راصداً ..

طبيعى أن الله يعرف كل خطية نرتكبها، سواء بالقول، أو بالفعل، أو بالفكر، أو بجميع الحواس. كما قال القديس يوحنا فى رؤياه: "وانفتحت أسفار.. ودين الأموات مما هو مكتوب فى الأسفار بحسب أعمالهم" (رؤ٢٠: ١٢). وكما قال القديس بولس الرسول "لأنه لابد أننا جميعاً نُظهر أمام كرسى المسيح، لينال كل واحد منا ما كان بالجسد، بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً" (٢كو٥: ١٠).

فما معنى "إن كنت للآثام راصداً"، بينما الكل مسجل ومرصود؟

إن الله كلى المعرفة، ولا يخفى عليه شئ. إذن فهو يعرف ويرصد. وهو الذى وضع الضمير فى الإنسان الذى يرصد أعماله، وبالأولى الله. وهو أيضاً القدوس الذى لا يقبل الخطية، والعادل الذى لا يتساوى أمامه الطيب والخبيث.

إذن ما المقصود بقول المرتل: إن كنت للآثام راصداً يارب..

أى إن كنت ترصد الآثام لتعاقب عليها. تخزنها لتديننا بها.

إن كنت كذلك، فمن يثبت؟! كلنا خطاة. كلنا فى الموازين إلى فوق. إن حاسبتنا، فسوف يستد كل فم. وكما يقول المرتل للرب فى مزمور آخر: "لا تدخل فى المحاكمة مع عبدك. فإنه لا يتزكى قدامك أى حى" (مز١٤٣: ٢).

أنت لا ترصد الخطايا، بل تمحوها بالمغفرة .

إنه كالطبيب يرصد الأمراض لكى يعالجها، وليس لكى يوبخ المريض عليها. كل علل المريض واضحة أمامه، ولكن لكى يخلصه منها. وهكذا أنت أيضاً قلت" لم آتِ لأدين، بل لأخلص". "إن ابن الإنسان لم يأتِ ليهلك أنفس الناس، بل ليخلص" (لو٩: ٥٦). "وجاء يطلب ويخلص ما قد هلك" (لو١٩: ١٠).

وكيف ذلك؟ ... بالمغفرة .

لأن من عندك المغفرة :

طول أناته، تقود إلى التوبة (رو٢: ٤). وبالتوبة المغفرة .

ويتغنى المرتل بهذه المغفرة، فيقول "طوبى للذى غُفر إثمه وسُترت خطيته. طوبى لإنسان لا يحسب له الرب خطية" (مز٣٢: ١، ٢). هذه الخطايا التى لا تُحسب، يقول عنها الرب فى سفر ارميا

النبى "لأنى أصفح عن إثمهم، ولا أذكر خطيتهم بعد" (أر ٣١: ٣٤).

لا يحسب لنا خطايانا، فى التوبة من جهتنا. وأيضاً فى المصالحة التى تمت على الصليب، كما قال القديس بولس الرسول "إن الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه، غير حاسب لهم خطاياهم" (٢كو٥: ١٦).

الله إذن - فى المصالحة - لا يرصد الخطايا، بل يمحوها.

"إذ محا الصك الذى علينا.. مسمراً إياه على الصليب (كو٢: ١٤). وقال الرب "أنا أنا هو الماحى ذنوبك.. وخطاياك لا أذكرها" (أش٤٣: ٢٥). وأيضاً "قد محوت كغيم ذنوبك، وكسحابة خطاياك" (أش٤٤: ٢٢).

كل ذلك بشرط التوبة .

مِن أجل اسمك صبرت لك يارب :

أنا من أجل اسمك، صبرت إلى أن يأتى خلاصك. صبرت إلى أن تأتينى معونتك، وإلى أن أنال مغفرتك.

فما هو اسمك الذى صبرت له؟

اسمك كمخلص. وعنك قال الملاك المبشر بميلادك: "وتدعو

اسمه يسوع، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم" (مت١: ٢١). فكلمة يسوع معناها مخلص.

وأيضاً صبرت من أجل اسمك (عمانوئيل) "الذى تفسيره الله معنا" (مت١: ٢٣). فمادمت معنا، إذن سأصبر لعملك فينا، وعملك من أجلنا.

من أجل أسمك الحنون الشفوق الغفور، الذى "لم يصنع معنا حسب خطايانا، ولم يجازنا حسب آثامنا" (مز١٠٣: ١٠)... الذى قيل عنه "الرب رحيم ورؤوف، طويل الروح، كثير الرحمة. لا يُحاكم إلى الأبد، ولا يحقد إلى الدهر" (مز١٠٣: ٨، ٩).

من أجل اسمك هذا، صبرت وأنا مملوء بالرجاء .

صبرت وأنا واثق أنك ستعمل فيّ للتوبة وللمغفرة.

وستعمل فيّ لكي أنفذ وصاياك وناموسك.

صبرت نفسى لناموسك :

انتظرت نفسى لناموسك .

انتظرت حتى يمكنني أن أنفذ ناموسك فيّ. صبرت حتى تأتيني المعونة التى أنفذ بها كل كلامك .

أنتظرت نفسى الرب من محرس الصبح.

أو فى ترجمة أخرى "أكثر من المراقبين الصبح". أى الذين فى الظلمة وينتظرون الصبح متى يجئ. فهم يراقبون مجيئه.

وهنا أراقب مجئ صبحك متى يأتى ليبدد ظلمتى.

✠ ✠ ✠

ثم يتحول من صلاته لأجل نفسه إلى الصلاة لأجل الشعب كله فيقول:

أكثر من المراقبين الصبح فلينتظر اسرائيل الرب .

وكلمة (إسرائيل) هنا لها معنى رمزى. أى الشعب كله فلينتظر الرب من الليل حتى الصبح.

✠ ✠ ✠

"لأن الرحمة من عند الرب، وعظيم هو خلاصه (فداؤه). وهو يفدى إسرائيل من كل آثامه" .

هنا الذى يصرخ من الأعماق، الذى ينتظر من الظلمة مراقباً الصبح متى يجئ، إنما ينتظر خلاص الرب الذى سيأتى بالفداء. وهو خلاص ينتظره كل الشعب. وعنه عبّر سمعان الشيخ بقوله "الآن يارب تطلق عبدك بسلام، لأن عينى قد أبصرتا خلاصك الذى أعددته قدام وجه جميع الشعوب" (لو ٢: ٢٩، ٣٠).

والمصلى واثق أن الرب سيفدى الشعب من كل آثامه.

تفسير مزمور

ها باركوا الربّ

مز ١٣٣ (١٣٤)



ها باركوا الرب يا عبيد الرب ،

القائمين فى بيت الرب ، فى ديار إلهنا .

فى الليالى ارفعوا أيديكم أيها القديسون ، وباركوا الرب .

يباركك الرب من صهيون ، الذى خلق السموات والأرض .

هللويا

هذا المزمور القصير ، السهل الحفظ، هو من المزامير المشهورة فى صلواتنا اليومية ، فى الأجبية . إنه مكرر فى صلاة النوم، وصلاة الستار ، ومقدمة صلاة نصف الليل ، وفى الهجعة الثالثة منها .

فما سر العمق الذى فيه؟ الذى من أجله وضع فى كل تلك الصلوات ؟

لكى نجيب على هذا السؤال، فلنتناول فقرات المزمور واحدة واحدة ونتأملها :

ها باركوا الرب

مباركة الله لنا ، هى مباركة الكبير للصغير (عب٧: ٧) .

أما مباركتنا للرب ، فتعنى تسبيحه ، أو الاعتراف ببركته، وشكره عليها .

وهكذا يقول داود فى المزمور "باركى يا نفسى الرب، ولا تنسى كل حسناته" (مز١٠٣: ١، ٢). ويعنى هنا الاعتراف ببركاته وحسناته، وذكرها باستمرار، ومن أعماق القلب "باركى يا نفسى الرب، وكل ما فى باطنى فليبارك إسمه القدوس" .. وبعد ذلك يذكر المرتل بالتفصيل إحسانات الله إليه .

وهكذا فعل زكريا الكاهن أبو يوحنا المعمدان، لما فك الله عقدة لسانه: انفتح فمه وبارك الله (لو١: ٦٤). وهكذا فعل سمعان الشيخ، لما رأى الطفل يسوع ، فشكر الله على خلاصه ، إذ "حمل الطفل على ذراعيه، وبارك الله" (لو٢: ٢٨) .

✠ ✠ ✠

ومباركتنا لله تعنى تمجيده أيضاً .

وهكذا نقول فى تسبحة البصخة باستمرار "لك القوة والمجد والبركة" .

ويقول القديس يعقوب الرسول عن اللسان "به نبارك الله الآب، وبه نلعن الناس الذين خلقوا على شبه الله" (يع ٣: ٩). وهنا عبارة نبارك الله تعنى نمجده أو نسبحه ...

وبالمثل حينما قال أيوب الصديق فى تجربته "الرب أعطى، الرب أخذ. ليكن اسم الرب مباركاً (أى ممجداً)" (أى١: ٢١) .

ويقول المرتل للرب فى المزمور "طوبى لكل السكان فى بيتك ،

يباركونك إلى الأبد" (مز ٨٤: ٤) أى يمجدونك ويسبحونك .

✠ ✠ ✠

وهنا نرى داود فى هذا المزمور يدعو الناس إلى مباركة الله.

أى إلى تسبيحه وتمجيده، فيقول "ها باركوا الرب يا عبيد الرب". وهو فى المزمور (١٠٣) لا يقتصر فقط على دعـوة البشـر بـل أنـه يقول "باركوا اللـه يـا ملائكتـه المقتدريـن قـوة ، الفـاعلين أمـره عنـد سماع صوت كلامه. باركوا الرب يا جميع جنوده، خدامـه العـاملين مرضاته. باركوا الرب يا جميـع أعمالـه فـى كـل مواضـع سلطانه. باركى يا نفسى الرب" (مز١٠٣: ٢٠- ٢٢) .

ونرى هنا أن الذين يباركون الرب أى يمجدونه ، هم الفاعلون أمره، العاملون مرضاته .

هم الذين يمجدونه بالطاعة، ويسبحونه بعمل مشيئته. وهم الذيـن ينطبق عليهم قول الرب فى العظة على الجبل "فليضىء نوركـم هكـذا قدام النـاس، لكـى يـروا أعمـالكم الحسـنة، ويمجـدوا أبـاكم الـذى فـى السموات"(مـت٥: ١٦). فعملنـا الخير، يجعل اسم الرب مباركـاً مـن الناس .

✠ ✠ ✠

إننا نبارك الرب بأساليب روحية متعددة ومتنوعة .

نباركـه فـى صلواتنـا بكـلام التسبيح والتمجيد. ونباركـه بقبـول

مشيئته وعدم التذمر أياً كان الأمر، كما ترك أيوب الصديق لنا مثالاً. ونباركه أيضاً بالخشوع والوقار، فى بيت الله، وفى وقت الصلاة. ونباركه حينما لا ننطق باسم الرب باطلاً (تث٥: ١١). ونباركه حينما تكون حياتنا قدوة للناس، وحينما ندعو الناس إلى محبته وحفظ وصاياه.

على أن المرتل يقدم لنا دافعين أساسيين للمباركة فيقول :

"يا عبيد الرب" "القائمين فى بيت الرب" .

يا عبيد الرب

عبيده هم خدامه العاملين مرضاته ، الذين ليسوا عبيداً لغيره ، أياً كان هذا الغير، شخصاً كان أو شيئاً . كما قال الرب عن المال "لا يقدر أحد أن يخدم سيدين. لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر. لا تقدروا أن تخدموا الله والمال" (مت٦: ٢٤) .. وعبيد الرب، هم الذين لا يصنعون لهم على الأرض تمثالاً منحوتاً .. وهنا أحب أن أقول :

إن بنوتنا لله، لا تمنع كوننا عبيداً له .

✠ ✠ ✠

هوذا الرب يقول للإنسان البار فى اليوم الأخير "نعماً أيها العبد الصالح والأمين. كنت أميناً فى القليل ، فأقيمك على الكثير. ادخل

إلى فرح سيدك" (مت٢٤: ٢١، ٢٣) .. قال هذا لصاحب الخمس الوزنات، كما قاله لصاحب الوزنتين أيضاً .

بل حتى الرعاة أيضاً دعاهم عبيداً ، مثل رعيتهم .

فقال يا ترى من هو الوكيل الأمين، الحكيم الذى يقيمه سيده على عبيده ليعطيهم طعامهم فى حينه. طوبى لذلك العبد الذى إذا جاء سيده يجده يفعل هكذا. الحق أقول لكم إنه يقيمه على جميع أمواله" (لو١٢: ٤٢- ٤٤) . هذا الوكيل الأمين الحكيم المقام على الكل، هو عبد أيضاً ...

ما أجمل أن نقرأ فى رسائل بولس الرسول ، الذى صعد إلى السماء الثالثة، والذى تعب أكثر من جميع الرسل (٢كو١٢) إنه يبدأ بعضاً من رسائله بقوله "بولس عبد ليسوع المسيح" (رو١: ١). "بولس وتيموثاوس عبدا ليسوع المسيح" (فى١: ١) . "بولس عبد الله ورسول يسوع المسيح" (تى١: ١) ..

فلا نجعل بنوتنا لله تجعل قلوبنا ترتفع .

✠ ✠ ✠

إنما عبارة "عبد" تقودنا إلى الإتضاع والتخشع .

وتقودنا أيضاً إلى الطاعة، بل كما قال الرب "مهما فعلتم كل ما أمرتم به، فقولوا إننا عبيد بطالون.." (لو١٧: ١٠).

وما أجمل ما قاله القديس أوغسطينوس فى إحدى صلواته من

أجل شعبه.. قال "اطلب إليك يارب من أجل سادتى، عبيدك" . فإن كنا خداماً لأفراد الرعية، فكم بالأكثر نكون من أجل إلهها وإلهنا ..

ها باركوا الرب يا عبيد الرب ، القائمين فى بيت الرب :

القائمين فى بيت الرب

نقول هذه العبارة على نوعين من الناس :

إما خدام بيت الرب، أو أى أناس يصلون فى بيته .

ها باركوا الرب يا عبيد الرب، خدامه، رجال الإكليروس عموماً، القائمين فى بيت الرب باستمرار... أو عن الرهبان الساكنين فى بيت الرب فى ديار إلهنا، الذين يقول عنهم المرتل فى المزمور "طوبى لكل السكان فى بيتك، يباركونك إلى الأبد" (مز٨٤)، إذ ليس لهم عمل آخر سوى تسبيح الرب، يباركونه الآن وإلى الأبد .

أو تقال على المصلين فى الكنيسة ، أو فى ديار الرب ، لا ينشغلون بشئ آخر غير التسبيح .

فيقول لهؤلاء : حينما تدخلون بيت الرب، لا يكن لكم عمل آخر سوى هذا: ها باركوا الرب.. لأنه إن كنا لا نبارك الله فى بيته، فلماذا دخلنا بيته إذن؟!

على أن كل مكان نقدسه بصلواتنا، يمكن أن يعتبر بيتاً للرب. إنه "الكنيسة التى فى بيتك" (رو١٦: ٥) .. ما أجمل أن الشهداء حينما كانوا يصلون ويسبحون الرب فى السجون، حولوها بذلك إلى بيوت للرب، ولو إلى حين .. بل إن كل مكان نصلى فيه صلاة الشكر نقول عنه للرب "..وهذا الموضع المقدس الذى لك" .

✠ ✠ ✠

إن المؤمن الحقيقى يحوّل كل مكان إلى بيت الرب .

ويصلى ويقول "للرب الأرض وملؤها. المسكونة وجميع الساكنين فيها" (مز٢٣: ١) ... أليس آباؤنا الرهبان والسواح والمتوحدون قد حولوا كل البرارى التى عاشوا فيها إلى بيت للرب، بتسابيحهم وصلواتهم المرفوعة إليه... بل إن المؤمن المحب لله قد يقول له : كل بيت ليس لك، لا استطيع يارب أن أدخله، إلا لكى أدخل إسمك فيه، أو أحوله إليك بطريقة ما ...

المرتل يدعو القائمين فى ديار إلهنا إلى أن يباركوه (يسبحوه). ولكن كيف؟ ومتى؟ إنه يقول "فى الليالى ارفعوا أيديكم أيها القديسون، وباركوا الرب" .

فى الليالى

الليل الهادئ الساكن، الخالى من ضوضاء النهار، ومن مشاغله

ولقاءاته، تحلو فيه الصلاة .. وما أصدق ذلك الأب الروحى الذى قال "إن الليل مفروز لعمل الصلاة" .. وقال أيضاً "إن صلاة واحدة تصليها بالليل، أفضل من مائة صلاة تصليها بالنهار"..

يقصد الصلاة التى تصليها فى ذلك السكون ، وتتميز لذلك بجمع الفكر ، وجمع الحواس، وعدم التشتت، وعدم الإنشغال ...

ولذلك ما أجمل ما قيل عن السيد المسيح إنه "كان فى النهار يعلم فى الهيكل، وفى الليل يخرج ويبيت فى الجبل الذى يُدعى جبل الزيتون" (لو ٢١: ٣٧) . وكان جبل الزيتون مكاناً للصلاة والتأمل. أو قيل عن الرب أيضاً إنه : **"خرج إلى الجبل ليصلى، وقضى الليل كله فى الصلاة" (لو٦: ١٢)** .

وهنا نركز على ربط الليل بالصلاة، وبالجبل.. ومما يذكر عن الليل أيضاً أنه "أتى إلى تلاميذه فى الهزيع الرابع من الليل" (مت١٤: ٢٥). وقيل عن مجئ المسيح الثانى "وفى منتصف الليل صار صراخ: هوذا العريس قد أقبل.." (مت٢٥: ٦) .

✠ ✠ ✠

ومسألة الليل ، تذكرنا بفضيلة السهر ...

السهر لاستقباله .. كما قيل "اسهروا لأنكم لا تعلمون متى يأتى رب البيت أمساء، أم نصف الليل، أم صياح الديك، أم صباحاً.. لئلا

يأتى بغتة فيجدكم نياما (مر ١٣: ٣٦) وقال أيضاً "طوبى لأولئك العبيد، الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين" (لو ١٢: ٣٧) .

وما أكثر القصص التى وردت فى سير القديسين عن سهرهم الليل كله فى الصلاة، مثلما كان يفعل القديس أرسانيوس الكبير. وما أجمل ما قيل عن الرعاة فى قصة الميلاد إنهم كانوا "يحرسون حراسات الليل" (لو ٢: ٨) .

✠ ✠ ✠

والليل له تأملاته وصلواته الكثيرة فى مزامير داود :

إنه يقول "ذكرت فى الليل إسمك يارب" (مز ١١٩: ٥٥) .. "وفى نصف الليل نهضت لأشكرك على أحكام عدلك" (مز ١١٩: ٦٢) .. "بالليل بسطت يدى" (مز ٧٧: ٢) . "أعوّم فى كل ليلة سريرى، وبدموعى أبل فراشى" (مز ٦: ٦) . فكان الليل إذن للصلاة وللشكر والبكاء على الخطايا، كما يقول أيضاً "فى العشاء يحل البكاء، وفى الصباح السرور" (مز ٢٩) .

✠ ✠ ✠

"وما أصلح الليل للتأمل ، ولمحاسبة النفس أيضاً " .

كما تقول عذراء النشيد "فى الليل على فراشى، طلبت من تحبه نفسى" (نش ٣: ١) .. حتماً أن الله نفسه يطلبنا فى هذا الوقت الهادئ. وإن لم نفتح له قلوبنا ، يعاتبنا بقوله "لأن رأسى قد امتلأ

من الطل، وقصصى من ندى الليل" (نش٥: ٢) .

حقاً إن الذى يكسب صداقة الليل، لا يتعب من شغب النهار .

وأقصد أن الذى يقضى الليل فى الصلاة والقراءة والتأمل، وفى مناجاة الله، وفى البكاء على خطاياه.. هذا يكنز له رصيداً من الروحيات، تصد عنه هجمات العدو فى حروب النهار وعثراته ...

✠ ✠ ✠

الليل أيضاً حافل بقصص الرؤى والأحلام التى من الله .

يقول اليهو البار فى قصة أيوب الصديق "لكن الله يتكلم .. فى حلم، فى رؤيا الليل، عند سقوط سبات على الناس، فى النعاس على المضجع. حينئذ يكشف آذان الناس.." (أى٣٣: ١٤- ١٦) ..

وما أكثر الأحلام المقدسة التى أرشد فيها الرب أبراره ليلاً. مثلما ظهر ملاك الرب فى حلم ليوسف النجار، وبشره بميلاد المسيح (مت١: ٢٠-٢٤). وفى حلم آخر كلّمه أن يذهب إلى مصر، وفى حلم آخر أمره أن يرجع منها (مت٢: ١٣، ١٩) . كما ظهر فى حلم للمجوس وأرشدهم (مت٢: ١٢) .

الملاك الذى أنقذ بطرس من السجن، جاءه ليلاً (أع١٢: ٦). وكذلك فى نصف الليل كان انقاذ بولس وسيلا (أع١٦: ٢٥، ٢٦). وفى الليل أيضاً كان قول الرب لبولس "كما شهدت بما لى فى أورشليم، ينبغى أن تشهد فى رومية أيضاً" (أع٢٣: ١١) .

يقول المرتل "فى الليالى ارفعوا أيديكم أيها القديسون، وباركوا الرب" . وهنا نقف عند عبارة "ارفعوا أيديكم" .

اِرفعوا أيديكم

رفع اليدين هو اتجاه نحو السماء كرسى الله .

يقول داود النبى"باسمكارفع يدى، فتشبع نفسى كما من شحم ودسم" (مز٦٣: ٤). ويقول أيضاً "فلتستقم صلاتى كالبخور قدامك. وليكن رفع يدىّ ذبيحة مسائية" (مز١٤١: ٢). ويقول أيضاً "بسطت إليك يدىّ. صارت نفسى نحوك مثل أرض بلا ماء" (مز١٤٣: ٦) . وأيضاً "دعوتك يارب كل يوم بسطت إليك يدىّ" (مز٨٨: ٩).

✠ ✠ ✠

إن رفع اليدين هو اشتراك للجسد مع الروح فى الصلاة .

هو لون من خشوع الجسد ، وارتفاعه إلى الله ، مع الروح ...

ليست الروح فقط هى التى تصلى، إنما الإنسان كله روحاً وعقلاً وجسداً. الجسد يرفع يديه إلى فوق ، ويرفع نظره إلى فوق، وتنحنى هامته إلى أسفل ، وتركع قدماه ويسجد .

موسى كان يرفع يديه ، فينتصر الجيش على عماليق (خر١٧: ١١) . وإذا انخفضت يداه، كان الجيش ينهزم. فثبتوا يديه

مرفوعتين إلى غروب الشمس ، فهزم يشوع عماليق (خر١٧: ١٢، ١٣) . إن بسط اليدين كذلك ، علامة للصليب .

"ارفعوا أيديكم أيها القديسون وباركوا الرب"

إن المرتل يكلم المصلين القديسين الذين يرفعون أيديهم فى الصلاة إلى فوق، ساهرين الليل فى الصلاة يسبحون الله. ويقول لهم إن الله سيمنحكم بركته.

يباركـكم الـرب

"يبارككم الرب من صهيون الذى خلق السماء والأرض".

هنا الاستجابة للصلاة : منح البركة لكم من الله .

"من صهيون" أى من جبله المقدس ، من موضع قدسه، من مكان الذبيحة والمذبح ورائحة البخور .

"يبارككم الرب الذى صنع السماء والأرض" (الذى صنع السماء التى ترفعون أيديكم نحوها، وصنع الأرض التى تقفون عليها ... الله الخالق ، القادر على كل شئ ، مصدر كل بركة يبارككم بكل بركة روحية ...

(والبركة) موضوع طويل ، لعلنا نلتقى به فى مناسبة أخرى .

سَبِّحِي الرَّبَّ يَا أورشليم

مز ١٤٧

سبحى الرب يا أورشليم، سبحى إلهك يا صهيون،

لأنه قد قوى مغاليق أبوابك، وبارك بنيك فيك.

الذى جعل تخومك فى سلام، ويشبعك من شحم الحنطة.

الذى يرسل كلمته إلى الأرض، فيسرع قوله عاجلاً جداً.

المعطى الثلج كالصوف، المذرى الضباب كالرماد،

ويلقى الجليد مثل الفتات، قدام وجه برده من يقوم؟

يرسل كلمته فتذيبه، تهب ريحه فتسيل المياه.

المخبر كلمته ليعقوب، وفرائضه وأحكامه لإسرائيل،

لم يصنع هكذا بكل الأمم، وأحكامه لم يوضحها لهم.

هللويا ...

نقدم المزمور ١٤٧ وهو آخر مزمور فى صلاة النوم .

سبحى الرب يا أورشليم ، سبحى إلهك يا صهيون .

أورشليم هى صهيون. يطلب منها المرتل أن تسبح الرب إلهها. أما المعنى الحرفى كما يقول القديس أوغسطينوس فهو أن هذا المزمور وسابقه عبارة عن تسبحة للرجوع من سبى بابل .

أما من الناحية الرمزية فتشير أورشليم إلى الكنيسة حيث يوجه المصلى تأملاته إليها أثناء المزمور.

ومن الناحية الروحية الخاصة، يمكن أن تشير أورشليم إلى قلب الإنسان أو نفسه التى هى عروس المسيح .

ولكن لماذا يطلب المرتل من أورشليم أن تسبح الله؟ ما هى مناسبة التسبيح ؟

✠ ✠ ✠

لأنه قوى مغاليق أبوابك وبارك بنيك فيك. الذى جعل تخومك فى سلام ويملأك من شحم الحنطة .

يمكن أن يُقال هذا كصلاة شكر كلما يشعر الإنسان بحفظ الله للكنيسة ورعايته لها. فأورشليم تسبح الرب لأنه جعل تخومها فى سلام. لا يستطيع العدو أن يقتحم أبوابها، لأن الرب "قوى مغاليق أبوابها" . ولا يستطيع العدو أن يسبى أبناءها، لأن الرب "بارك بنيها فيها" .

أما إذا أخذ هذا الكلام على أن أورشليم حيث هى قلب المصلى أو نفسه، فإنه يسبح الله شاكراً لأنه حفظه من الخطية، إذ قوى مغاليق أبوابه. وابواب النفس هى الحواس: السمع، البصر، اللمس.. إلخ. هذه قد قوى الله مغاليقها، فأصبحت لا تدخل إلى القلب أية فكرة شريرة، أو أى إحساس ردئ. وأبواب النفس هى أيضاً الشهوات والرغبات والأفكار. وهذه قوى الله مغاليقها . فلو حاول العدو أن يدخل منها إلى النفس ليفسدها بأباطيل العالم، يجدها مغلقة في وجهه .

✠ ✠ ✠

هذا كله من الناحية السلبية . أما من الناحية الإيجابية ، فيقول "**وبارك بنيك فيك**" . هؤلاء البنون الذين تلدهم النفس من عمل

الروح القدس فيها هم الفضائل . وعندما يبارك الله هؤلاء البنين إنما يعنى أنه يكثر ثمار الروح القدس فى النفس، على أن هؤلاء قد باركهم الله **فيها، أى فى داخل النفس**، وليس خارجاً كما يفعل المراؤون.

✠ ✠ ✠

ونتيجة لكل هذا **صارت تخوم النفس فى سلام** ، أى لم يعد الجسد يشتهى ضد الروح، ولا الروح ضد الجسد، بل تصالح الإثنان فعاش الإنسان فى سلام: فلا صراع داخلى يضنيه فى مقاتلة الشهوات . اصبح فى سلام من جهة حربه ضد الشيطان والجسد والعالم .. إلخ .

"**ويملأك من شحم الحنطة**". أى من الخير، من نعمه وإحساناته.

ولكن كيف تم هذا النصر وهذا العمل المجيد ، سواء للقلب أو للكنيسة؟ يجيب المرتل بقوله :

✠ ✠ ✠

الذى يرسل كلمته إلى الأرض، فيسرع قوله عاجلاً جداً .

يقول القديس أوغسطينوس كلمة الله هو المسيح، وقد أرسله إلى الأرض فأسرع قوله عاجلاً جداً ، لأنه فى فترة قصيرة من الزمان كانت الكرازة قد وصلت إلى أقاصى الأرض.

ولم يمر نصف قرن على إرسال السيد المسيح لتلاميذه حاملين

قوله، حتى أسرع قوله عاجلاً جداً، فدخل قلوب المؤمنين بسهولة.. بعظة واحدة من بطرس آمن أكثر من ثلاثة آلاف (أع٢: ٤١). وبعد معجزة شفاء المُقعد عند باب الجميل كثر العدد جداً. ثم نسمع أنه "كان مؤمنون ينضمون للرب أكثر، جماهير من رجال ونساء" (أع٥: ١٤). "وجمهور كثير من الكهنة يطيعون الإيمان" (أع٦: ٧).

وهكذا أسرع قوله عاجلاً جداً حتى ملأ الأرض . فكأن المرتل يقول للكنيسة: هذا الذى بارك بنيك فيك، هو الذى أرسل كلمته إلى الأرض فأسرع قوله عاجلاً جداً .. فباركيه وسبحيه على حاضره وماضيه معك ...

✠ ✠ ✠

على أننا يمكن أن نأخذ هذا أيضاً على النفس البشرية .

لأن السيد المسيح شبه الإنسان الصالح بالأرض الجيدة التى أخرجت ثماراً ثلاثين وستين ومائة (مت١٣: ٢٣). فالإنسان المشبه بالأرض الجيدة ، يسبح الله فى هذا المزمور على هذا الثمر الكثير، لأن الله أرسل كلمته إلى الأرض فأسرع قوله عاجلاً جداً.

يمكن أن تذكر هذه الآية من المزمور كلما قرأت أو سمعت كلام الله فترك فى نفسك أثراً قوياً سريعاً .. حينئذ تقف أمام الله وتقول "سبحى الرب يا أورشليم .. الذى بارك بنيك فيك .. الذى يرسل كلمته إلى الأرض فيسرع قوله عاجلاً جداً" .

هذا هو "**شحم الحنطة**" الذى قصده فى الآية السابقة . لأنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله" (مت٤: ٤) . هذا الكلام الذى يرسله الله إلى الأرض يكون كالشحم ، بل إن داود يقول "وباسمك أرفع يدى، فتشبع نفسى كأنها من شحم ودسم" . هذا هو الشحم الذى يعطيه الله "للجياع والعطاش إلى البر" (مت٥: ٦) ، فيشبعون .

✠ ✠ ✠

هنا يعرض لنا سؤال هام وهو :

هل هذا المزمور لا نقوله إلا فى الحالات الروحية السامية شاكرين الله على الأوقات التى نرى فيها تخومنا فى سلام وقد قوى الله مغاليق أبوابها وبارك بنيها فيها، أم فى حالات الحروب أيضاً ، والتعب والجهاد ضد الخطية؟

يجيب المرتل على هذا السؤال بقوله : **المعطى الثلج كالصوف، والمذرى الضباب كالرماد، ويلقى الجليد مثل الفتات :**

الله لم يدعُ إلى ملكوته الأتقياء فقط الحارين فى الروح، وإنما دعا إليه من المشارق والمغارب أناساً من كل نوع . وهنا يميز المرتل ثلاثة أنواع : الثلج، والضباب، والجليد. فإلى من يشير هؤلاء؟

✠ ✠ ✠

الثلج يشير إلى البرودة من الناحية الروحية ، قال الرب "ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين" (مت٢٤: ١٢) . فإن كانت كثرة الإثم تجعل المحبة باردة فما الذى يجعلها ثلجاً إذن؟ لاشك أن هذا يشير إلى حالة ضلال شديدة. والذين فى تلك الحالة دعاهم الرب أيضاً إلى ملكوته : كالمرأة التى تعجب الفريسى من لمسها للمسيح، وجماهير العشارين والزناة .. إلخ ". هؤلاء لم يجعلهم مؤمنين عاديين فقط، وإنما حارين فى الروح كالصوف .. كزكا العشار .

✠ ✠ ✠

أما الضباب فيدل على الظلمة لأنه يحجب الرؤية . لأن الخطية تجعل النفس تكتنفها الظلمة، فلا ترى نور الحق ولا تميز . ولذلك قيل عن الأشرار أنهم "أحبوا الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة" (يو٣: ١٩) . ولقبهم الكتاب "بالجالسين فى الظلمة" (لو١: ٧٩). ولكن كيف دعاهم الرب من الظلمة إلى نوره العجيب (١بط٢: ٩) ؟ ذلك بأن أشعل فيهم روح التوبة فسحقت نفوسهم أحرقت فيهم كل شهوة وكبرياء وحولتهم إلى رماد .

✠ ✠ ✠

والرماد يرمز إلى التوبة . كما قال الرب عن صور وصيدا أنه لو عملت فيهما تلك العجائب لتابتا قديماً فى المسوح والرماد (مت١١: ٢١) . وكما قال أيوب "وأندم فى التراب والرماد"

(أى٤٢: ٦) . وكما حدث فى توبة نينوى المشهورة أنه حتى ملكها "تغطى بمسح وجلس على الرماد" (يو٣: ٦) . نعم هؤلاء الذين "سقط عليهم ضباب وظلمة" (أع١٣: ١١) . وحجب الضباب عنهم شمس البر فلم يروا الرب، هؤلاء سوف لا يتركهم الله. بالتوبة يذرى منهم الضباب فيبصرون ، ويتحول ضبابهم إلى رماد .

✠ ✠ ✠

وماذا عن الجليد ؟ الجليد صلب جداً، لا يذوب بسهولة مثل الثلج. **إنه يشير إلى البرودة الروحية الشديدة أو إلى القسوة والصلابة فى البعد عن الله.**

وحتى الذين على هذه الصفة يحولهم إلى فتات ، أى يغذى بهم آخرين. أو قد يدل هذا – فى رأى القديس أوغسطينوس– على أنه يصيرهم أعضاء فى جسده الذى يرمز له بالخبز "فى جسده أى فى الكنيسة التى هى جسد المسيح. فقارن بالآية (١كو١٠: ١٧) .

ويضرب القديس أوغسطينوس لهذا النوع ببولس الرسول، فيقول عنه "كان جليداً صلباً، مقاوماً للحق ، صارخاً ضد الإنجيل.. وإذ كان جليداً بدا أبيض ورائقاً، ولكنه كان صلباً جداً وبارداً ورائقاً. فكيف كان أبيض لامعاً؟ أنظروا .. عبرانى مع العبرانيين من جهة الناموس فريسى، هذا هو لمعان الجليد. ولكن اسمعوا الآن

عن قساوة الجليد : من جهة الغيرة مضطهد للكنيسة (فى٣: ٥، ٦).

✠ ✠ ✠

يمكن للمصلى أن يطبق هذه الحالات الثلاث على نفسه:

الثلج حالة برودة روحية يسمح الله بها وهو قادر أن يحولها إلى حرارة كالصوف. والضباب ظلمة تكتنف النفس من جرأة الخطية، فيزيلها الرب بالإنسحاق. والجليد شدة وقسوة وصلابة فى البعد عن الله أو التعصب لفكرة معينة. ويحول الله هذه الشدة لمنفعة الآخرين أو يفتتها .

على أية الحالات نحن نشكر الله لأنه لم يبق الثلج ولا الضباب ولا الجليد على حاله، بل أذابه، وإلا ...

✠ ✠ ✠

فى وجه برده من يقوم ؟!

من يستطيع أن يحتمل هذه الحالات ؟! لا يملك الإنسان إلا أن يصرخ "ويلى أنا الإنسان الشقى، من ينقذنى من جسد هذا الموت؟" (رو٧: ٢٤). بقوتى لا أستطيع شيئاً. ها أنذا ازداد برودة وصلابة.. أية حرارة تذيبنى حتى أسيل وأجرى؟ من ينقذنى من جسد هذا الموت الذى فى وجه برده من يقوم؟ هل أيأس؟! كلا، لأنه يقول :

✠ ✠ ✠

يرسل كلمته فتذيبه .. يهب روحه فيسيل المياه .

الله الكلمة هو شمس البر ، هو يذيب الثلج والجليد، ويحوله – بروحه القدوس – إلى "ماء حى ينبع إلى حياة أبدية" . ويروى أيضاً "العطاش إلى البر" . ولكن كيف يحدث هذا؟ هل هناك سر وراءه؟ نعم، والسر هو :

✠ ✠ ✠

المخبر كلمته ليعقوب، وفرائضه وأحكامه لإسرائيل .

ما الذى أخبر الرب به يعقوب؟ قال له "جاهدت مع الله والناس وقدرت" (تك٣٢: ٢٨) .

المسألة إذن تحتاج إلى جهاد، كالصراع الذى صارع به يعقوب الرب، لا يصح أن ننام ونتهاون ونكسل، وننتظر أن يهب روحه فيسيل المياه! لأن ملكوت السموات يغصب والغاصبون يختطفونه (مت١١: ١٢). وفى ذلك يقول القديس أغسطينوس "لئلا إذا حصلنا بسهولة على ما فقدناه، نتعلم أن نفقد بسهولة ما حصلنا عليه. فليتعب الإنسان لكى ينال. فإنه حينئذ سيمسك بحزم هذا الذى حصل عليه بعد تعب.. هذه هى فرائضه وأحكامه التى أعلنها لإسرائيل" .

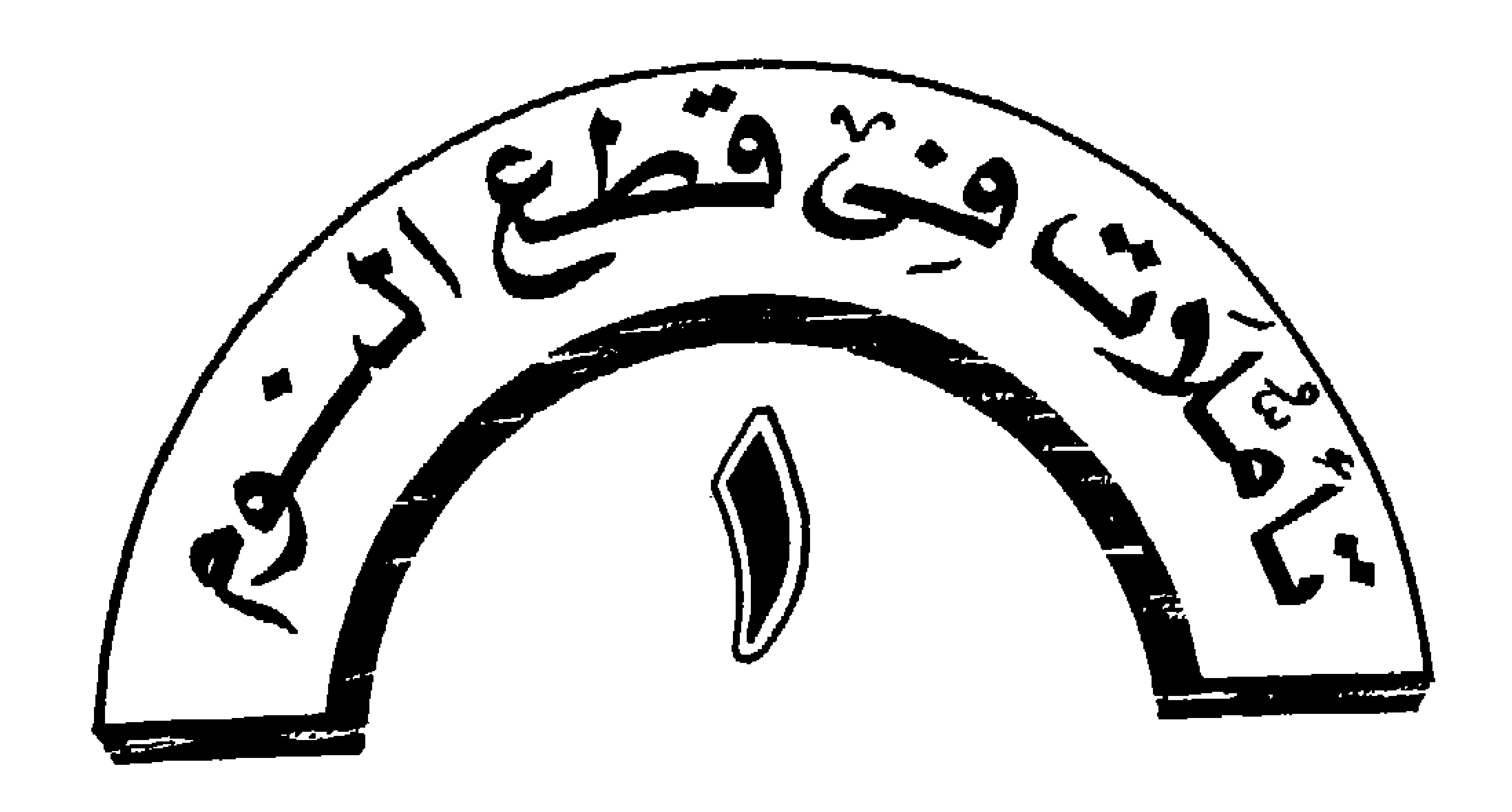
✠ ✠ ✠

لم يصنع هكذا بكل الأمم وأحكامه لم يوضحها لهم .

إذن كيف خلص الأمم؟ كيف ذاب منهم الثلج والضباب والجليد؟ يقول الرسول! "أنت زيتونة برية، طعمت فيها (فى الزيتونة

الأصلية)، وصرت شريكاً فى أصل الزيتونة ودسمها" (رو ١١: ١٧) .

لم يعد الأمم أمماً . الكل شعب واحد فى المسيح ، شعب يعقوب وروحياً **يمكن للمصلى بهذه الآية أن يشكر الله على ما** أوضحه له من فهم وصاياه مما لم يوضحه لغيره، وخاصة من الأمم التى لم تعرف المسيح. ويشكره لأنه كشف عن عينيه ليرى عجائب من ناموسه (مز ١١٨: ج).



هُوَذا أنَا عتيد أن أقف أمَام الدَيّان العادل

غالبية الشعب تصلى صلاة النوم، وتقول فى قطعتها الأولى :

"هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل مرعوباً ومرتعباً من أجل كثرة ذنوبى، لأن العمر المنقضى فى الملاهى يستوجب الدينونة. فتوبى يا نفسى مادمتِ فى الأرض ساكنة ، لأن التراب فى القبر لا يسبّح . ليس فى الموتى من يذكر، ولا فى الجحيم من يشكر. بل انهضى من رقاد الكسل، وتضرعى إلى المخلص بالتوبة، قائلة اللهم ارحمنى وخلصنى.." .

تذكار الموت

أود أولاً أن أقول إن الكنيسة المقدسة باستمرار تجعل تذكار الموت قائماً أمام الإنسان ، لما فى ذلك من فوائد روحية .

الشخص الذى يغيب تذكار الموت عن ذهنه، ما أسهل أن يفكر فى متع الحياة الدنيا، وينشغل بها ويخطئ . مثال ذلك الغنى الغبى

الذى ظن أنه سيعيش سنين عديدة ، وبدأ يفكر فى أن يهدم مخازنه ويبنى أعظم منها وتزيد خيراته ويتمتع! (لو١٢: ١٨، ١٩) .

✠ ✠ ✠

تذكار الموت موجود بشكل واضح فى صلاة النوم . وكذلك فى باقى الصلوات :

ففى إنجيل هذه الساعة نقرأ أن سمعان الشيخ يقول "الآن يارب، اطلق عبدك بسلام حسب قولك" (لو٢: ٢٩) . وفى القطع واضح تذكار الدينونة . وأيضاً فى القطعة الثانية "لو كان العمر ثابتاً وهذا العالم مؤبداً، لكان لك يا نفسى حجة واضحة، ..." .

وفى صلاة باكر – مع أننا فى أول النهار – نصلى فى المزمور ١٠ ونقول "أنر عينىّ لئلا أنام نوم الوفاة".

وفى صلاة الساعة الثالثة فى مزمور (الرب يرعانى) ، نقول "إن سرت فى وادى ظل الموت، لا أخاف شراً.."

وفى الساعة السادسة نتذكر صليب المسيح الذى أبطل الموت بموته. ونناجى القديسة العذراء بقولنا "من قِبل صليب إبنك انهبط الجحيم وبَطُل الموت. أمواتاً كنا، فنهضنا واستحققنا الحياة الأبدية" .

وفى الساعة التاسعة ، تذكار موت المسيح واضح. ونقول فى مزاميرها "ارجعى يا نفسى إلى موضع راحتك، فإن الرب قد أحسن

إلىّ.." . وأيضاً كريم أمام الرب موت أتقيائه" (مز ١١٦).

وفى **صلاة الغروب** نذكر الموت أيضاً ، ويناجى المصلى أمنا العذراء ويقول "وعند خروج نفسى من جسدى إحضرى عندى، ولمؤامرة الأعداء أهزمى، ولأبواب الجحيم أغلقى، لئلا يبتلعوا نفسى يا عروس بلا عيب للختن الحقيقى" .

وفى **صلاة الستار** نذكر يوم الدينونة الرهيب ونقول "يارب إن دينونتك لمرهوبة. إذ تحشر الناس، وتقف الملائكة، وتُفتح الأسفار، وتكشف الأعمال.. أية إدانة تكون إدانتى أنا المضبوط فى الخطايا. من يطفئ لهيب النار عنى؟! من يضئ ظلمتى إن لم ترحمنى أنت؟!

وفى **صلاة نصف الليل**، نذكر مجئ المسيح الثانى، وفى أنجيلها يذكر مثل العذارى الحكيمات والجاهلات (مت٢٥) والاستعداد للقاء الرب. وأن يوم الرب يأتى كلص فى ساعة لا نتوقعها . وطوبى لذلك العبد الذى إذا جاء سيده يجده مستيقظاً (لو ١٢) . لذلك يقول فى الاستعداد للموت "لتكن احقاؤكم ممنطقة ومصابيحكم موقدة. وأنتم تشبهون عبيداً ينتظرون سيدهم متى يأتى.." .

✠ ✠ ✠

لاشك أن تذكار الموت مفيد ، لذلك تذكرنا الكنيسة به .

وبخاصة فى صلاة النوم ، لأننا نعتبر أن النوم يشبه إلى حد ما

الموت من جهة فقد الإنسان لإدراكه. ويسميه البعض بالموت القصير .

ومن أهم تذكارات الكنيسة للموت (أوشية الراقدين) . والصلاة على الموتى. إذ يرى الناس الموت أمامهم ، ويسمعون الصلوات الخاصة به، وكذلك الألحان الحزينة، ويتأثرون بكل ذلك، وبأن الموت هو نهاية لكل حى، وبداية لحياة أخرى لا تنتهى ...

✠ ✠ ✠

هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل .

لابد أننى فى يوم من الأيام أقف أمام الديان العادل . ولا يجوز لى أن أنسى هذه الحقيقة أبداً . إنما يجب أن أستعد لها من الآن .

إن القديسين الذين وضعوا أمامهم صورة الدينونة باستمرار، كانوا حريصين جداً فى روحياتهم. أما أهل العالم فكانوا يضعون أمامهم شهوة العالم والأشياء التى فيه، فكانت تجذبهم تلك الشهوات إليها.. أما أولاد الله، فكانوا يقولون كل ليلة فى صلواتهم "هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل، مرعوباً ومرتعباً من أجل كثرة خطاياى .

✠ ✠ ✠

لذلك ـ قبل أن أقف أمام الديان العادل ـ يستحسن أن أقف

أمام ضميرى، وأمام **حقيقتى .**

وما أعمق كلمة القديس مكاريوس الكبير "احكم ياأخى على نفسك، قبل أن يحكموا عليك" . لأنك حينما تحكم على نفسك، تكون أمامك فرصة أن تصلح نفسك، وتصحح ما فيك من أخطاء. لا تنتظر إلى أن تقف أمام الديان العادل، بعد فوات الفرصة، فرصة التوبة والمغفرة ..

هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان .. وقفة الخشوع والهيبة، بل أيضاً وقفة الخوف. وقفة إنسان ينتظر الحكم عليه .

✠ ✠ ✠

لم يقل: اقف أمام المسيح الحنون العطوف الطيب الغفور، إنما أقف أمام الديان العادل.

مسألة "العطوف الغفور" هنا على الأرض، فى فترة الاختبار التى يمكن فيها أن تتوب. أما فى يوم الدينونة الرهيب، فإنك تقف أمام الديان العادل. ليس أمام الرب الذى "لم يصنع معنا حسب خطايانا، ولم يجازنا حسب آثامنا" الذى "كبعد المشرق عن المغرب، أبعد عنا معاصينا" (مز١٠٣: ١٠، ١٢).. كل هذا قيل عن فترة إمكانية التوبة .. أما فى ذلك اليوم، فسوف تقف كل أعمالنا أمامنا – أقصد كل ما لم نقدم عنه توبة فى حياتنا الأرضية– نعم تقف أمامنا

كل أعمالنا لا تبرح ولا تختفى .

✠ ✠ ✠

تقول هذه العبارة فى صلاة النوم، وأمامك كل أعمالك أثناء النهار .

تحاسب نفسك عليها، وتقدم عنها توبة قبل أن تنام .. كما تقدم توبة آخرى عن أعمالك فى الأيام السابقة ...

وهذا يوافق ما نقوله أيضاً فى تحليل صلاة النوم "يارب جميع ما أخطأنا به إليك فى هذا اليوم: إن كان بالفعل أو بالقول أو بالفكر أو بجميع الحواس، فاصفح واغفر لنا من أجل إسمك القدوس كصالح ومحب للبشر" . نطلب المغفرة عن كل أخطائنا. نحاول أن نضعها أمامنا لكى بالتوبة يمحوها الرب بدمه الكريم .

✠ ✠ ✠

هناك عبارات قالها الرب فى فترة تجسده، لا تقال فى يوم الدينونة الرهيب، بعد أن يُغلق الباب (مت٢٥: ١٠-١٢) .

مثال ذلك قوله للمرأة المضبوطة فى ذات الفعل "ولا أنا أدينك" (يو٨: ١١) وقوله للتى مسحت قدميه بشعر رأسها "مغفورة لك خطاياك.. اذهبى بسلام" (لو٧: ٤٨، ٥٠) . وقوله "أما أنا فلست أدين أحداً" (يو٨: ١٥) أو عبارة "لأن الله لم يرسل ابنه إلى العالم،

ليدين العالم، بل ليخلص به العالم" (يو٣: ١٧) .

كل هذا عن فترة تجسده، وفترة إمكانية التوبة بالنسبة إلى البشر

أما أمام الديان العادل ، فلا يوجد شفيع ، ولا يوجد حِلّ، إنما يوجد قضاء وحكم...

✠ ✠ ✠

هنا على الأرض نتشفع بالقديسين. أما في ذلك اليوم ، فلا توجد شفاعة . أنظروا ما قاله أبونا ابراهيم للرجل الغنى "اذكر أنك استوفيت خيراتك على الأرض، ولعازر البلايا.. وفوق هذا كله بيننا وبينكم هوة عظيمة قد أثبتت .. الذين يريدون العبور من هنا إليكم لا يقدرون. ولا الذين من هناك يجتازون إلينا" (لو١٦: ٢٥، ٢٦)

✠ ✠ ✠

يا أخوتى ، مخيفة ورهيبة تلك الساعة، التى قال عنها الرسول:

"مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى" (عب١٠: ٣١) .

حينما نقف أمام الديان. وأى ديان؟ أمام الديان العادل، الذى قيل عنه أنه يجازى كل واحد بحسب أعماله (مت١٦: ٢٧) (رؤ٢٢: ١٢) . وكما قال القديس بولس الرسول "لأنه لابد أننا جميعاً نظهر أمام كرسى المسيح، لينال كل واحد منا ما كان بالجسد، بحسب ما صنع: خيراً كان أم شراً" (٢كو٥: ١٠) . لهذا يقول المصلى فى

صلاة النوم "هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل مرعوباً ومرتعداً من أجل كثرة ذنوبى" ...

✠ ✠ ✠

هنا على الأرض نقول "كرحمتك يارب ولا كخطايانا" . إذ يوجد مجال للرحمة، لأنه يوجد مجال للتوبة. أما فى ذلك اليوم فتوجد دينونة على كل كلمة بطالة تخرج من أفواهكم" (مت١٢: ٣٦) . توجد أمامنا الآية التى تقول "من قال لأخيه يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم" (مت٥: ٢٢) . وأيضاً عبارة "بكلامك تتبرر، وبكلامك تدان" (مت١٢: ٣٧).. إذن ليست الدينونة هى فقط عن الخطايا البشعة، إنما على ما نظنها بسيطة أيضاً .

إن كانت الدينونة هكذا خطيرة، فاعمل على محو ذنوبك بالتوبة.

واعمل اعمال رحمة كثيرة تقف إلى جوارك فى ذلك اليوم. إذ أن الرب قد قال "طوبى للرحماء فإنهم يرحمون" (مت٥: ٧) . اصنع لك أصدقاء من مال الظلم (لو١٦: ٩) واكنز لك كنوزاً فى السماء (مت٦: ٢٠) تجدها هناك .

✠ ✠ ✠

ولماذا تقف مرعوباً ومرتعداً أمام الديان العادل؟

تقول "من أجل كثرة ذنوبى" .. ليتك تتخلص من هذه الذنوب وأنت هنا على الأرض . ليت ضميرك لا يبكتك على شئ قبل أن تقف أمام الديان العادل. استمع بكل قلبك إلى قول الرسول "اصطلحوا مع الله" (٢كو٥: ٢٠). هوذا القديس يوحنا الرسول يقول "إن لم تلمنا قلوبنا، فلنا ثقة من نحو الله" (١يو٣: ٢١) . فهل قلبك يلومك على شئ؟ إذن اسرع وتخلص منه ... الآن توجد فرصة، تنال فيها الحل والمغفرة. أما فى ذلك اليوم ، فلا حلّ ولا مغفرة، لأنه قد أغلق الباب. وكما قيل عن إيزابل فى سفر الرؤيا: "أعطيتها زماناً لكى تتوب.. ولم تتب" (رؤ٢: ٢١) .

✠ ✠ ✠

أتقف مرعوباً من أجل كثرة ذنوبك؟ هوذا الله قد أعطاك وعداً بمحو هذه الذنوب، إن رجعت إليه .

إنه يقول "ارجعوا إلىّ ، ارجع إليكم" (ملا٣: ٧). فارجع إذن إليه. وإذا رجعت إليه ماذا يحدث؟ إنه يقول عمن يرجع عن خطاياه "حياة يحيا، لا يموت. كل معاصيه التى فعلها، لا تذكر عليه" (حز١٨: ٢١، ٢٢) .

ويقول الرب فى سفر ارميا عن التائبين "لأنى اصفح عن إثمهم، ولا اذكر خطيتهم بعد" (أر٣١: ٣٤) . إذن سوف لا تجد فى يوم

الدينونة هذه الذنوب التى لم يعد الله يذكرها. وكما قيل فى المزمور "طوبى للذى غُفر إثمه وسُترت خطيته. طوبى لإنسان لا يحسب له الرب خطية" (مز٣٢: ١، ٢) .

ولقد سر بولس الرسول بهذه العبارة من المزمور، فاستشهد بها فى رسالته إلى أهل رومية (رو٤: ٧، ٨). حقاً، ما أجمل عبارة "لا يحسب له الرب خطية" . لذلك يستخدمها الرسول فى المصالحة مع الله، فيقول "غير حاسب لهم خطاياهم" (٢كو٥: ١٩) .

✠ ✠ ✠

فى يوم الدينونة لا نتجادل مع الله، بل "يستد كل فم" (رو٣: ١٩). لكنه هو يمحو خطايانا بدمه، بالتوبة .

أنا أعرف أنه يُقال فى صلاة الستار "يارب إن دينونتك لمرهوبة، إذ يجتمع الناس، وتقف الملائكة وتُفتح الأسفار، وتنكشف الأعمال، وتفحص الأفكار. أية إدانة تكون إدانتى أنا المضبوط بالخطايا.." .

هذه الأسفار هى الكتب التى سجلت فيها أعمالنا. وفيها حصاد ما قد زرعناه على الأرض . وكما يقول الكتاب "ما يزرعه الإنسان، إياه يحصد أيضاً. لأن من يزرع لجسده، فمن الجسد يحصد فساداً. ومن يزرع للروح، فمن الروح يحصد حياة أبدية" (غل٦: ٧، ٨) .

يوم الدينونة هو يوم الحصاد . فهل زرعت للجسد أم للروح،

حتى تحصد نتاج زرعك حينما تقف أمام الديان العادل؟ ولكن اسمع هذه الآية المعزية :

✠ ✠ ✠

"لا شئ من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الجسد، بل حسب الروح" (رو٨: ١) .

إذن إن كنت فى المسيح يسوع ، وكنت تسلك حسب الروح وليس حسب الجسد، فلن تخاف حينما تقف أمام الديان العادل.. وسوف لا يكتب إسمك فى اسفار الخاطئين، بل فى سفر الحياة. فهوذا القديس يوحنا الحبيب يقول فى سفر الرؤيا "ورأيت الأموات صغاراً وكباراً واقفين أمام الله. وانفتحت أسفار. وانفتح سفر آخر هو سفر الحياة . ودين الأموات مما هو مكتوب فى الأسفار بحسب أعمالهم.. دينوا كل واحد بحسب أعماله .. وكل من لم يوجد مكتوباً فى سفر الحياة، طُرح فى بحيرة النار" (رؤ٢٠: ١٢- ١٥).

✠ ✠ ✠

بحيرة النار هى الرعب الذى يرتعش منه الخطاة .

وأيضاً الخجل والعار أمام الملائكة والقديسين وسائر البشر .

أحباؤك يندهشون جداً حينما تتكشف أمامهم خطاياك. وأعداؤك يشمتون.. يقولون: أين كان مخفياً هذا كله، مما لم نكن نعرفه عنك؟!

أكان مخفياً تحت ثوب من الرياء، كالقبور المبيضة ، تظهر مـن الخارج جميلة، وهى من الداخل مملوءة عظام أمـوات وكـل نجاسـة (مت٢٣: ٢٧) .

✠ ✠ ✠

حقاً هو يوم رهيب، يوم الوقوف أمام الديان العادل .

بـل مجـرد يـوم مجيئـه للدينونـة، يقـول فـى ذلـك القديـس يوحنـا الرائى : "..وملوك الأرض والعظماء والأغنياء والأمراء والأقوياء، وكل عبد وكل حرّ ، أخفوا أنفسهم فى المغاير وفى صخور الجبـال. وهـم يقولـون للجبـال وللصخـور اسقطى علينا واخفينا عـن وجـه الجالس على العرش وعن غضب الحمل . لأنه قد جاء يـوم غضبـه العظيم . ومن يستطيع الوقوف؟!

✠ ✠ ✠

ذلك اليوم أيضاً سيكون يوم مقارنة .

بين الوقوف على اليمين، والوقوف على اليسار. بين الذين يقـول لهم الرب "تعالوا يا مباركى أبى، رثوا الملك المعدّ لكم منذ تأسيس العالم" (مت٢٥: ٣٤) ، والذين يقول لهم "اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته" (مت٢٥: ٤١) .

يوم تجتمع فيه أمام الـرب جميـع الشـعوب، فيمـيز بعضـهم عن

بعض، كما يميز الراعى الخراف من الجداء (مت٢٥: ٣٢) .. يوم تدخل فيه العذارى الحكيمات إلى العرس . بينما تقف الجاهلات خارجاً يتضرعن إلى الرب، فيقول لهن "الحق أقول لكن إنى لا أعرفكن" (مت٢٥: ١٢) .

لذلك يقول المصلى فى صلاة النوم :

هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل مرعوباً ومرتعداً من أجل كثرة ذنوبى.

✠ ✠ ✠

لماذا يقف الإنسان مرعوباً ومرتعباً أمام الديان العادل .

لأنه من ضمن العقوبات الطرد من أمام وجه الله، والطرد من مجمع الأبرار، أو عدم الاستحقاق للتواجد فيه. عقوبة الطرد بدأت منذ آدم (تك٣: ٢٤) . وأخذت صورة أصعب بالنسبة إلى قايين ، الذى قال للرب "إنك قد طردتنى اليوم عن وجه الأرض، ومن وجهك أختفى" (تك٤: ١٤) .

وفى الأبدية يكون الأمر أصعب حيث يقول الرب : لا أعرفكم.

قالها للمتباهين بصنع المعجزات "إنى لم أعرفكم قط، اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم" (مت٧: ٢٣). وقالها للعذارى الجاهلات "الحق أقول لكن إنى ما أعرفكن" (مت٢٥: ١٢). وقالها لكثيرين من

الخطاة "إنى لا أعرفكم من أين أنتم! تباعدوا عنى يا جميع فاعلى الظلم" (لو١٣: ٢٥، ٢٧) .

لذلك قيل إنهم يطرحون خارجاً (لو١٣: ٢٨) "فى الظلمة الخارجية" (مت٨: ١٢) .

"فى الظلمة" لأن الله نور، والأبرار نور، وأورشليم السمائية هى مدينة منيرة (رؤ٢١: ٢٣) . وعبارة "الظلمة الخارجية" تعنى أن هؤلاء الخطاة يكونون خارج "مسكن الله مع الناس" (رؤ٢١: ٣) . ما أصعب حالة هؤلاء المطرودين من الله !!

✠ ✠ ✠

إن الحرمان من الله هو أصعب عقوبة يتعرض لها الخطاة .

الحرمان من النعيم الأبدى. الحرمان من عشرة الملائكة والقديسين . الحرمان من شجرة الحياة. ومن إكليل الحياة (رؤ٢: ٧، ١٠). ومن إكليل البر هذا الذى يهبه أيضاً الديان العادل (٢تى٤: ٨) . الحرمان مما أعده الله للذين يحبونه: ما لم تره عين، ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على قلب بشر (١كو٢: ٩) .. الحرمان من الحياة الأبدية ومن معرفة الله (يو١٧: ٣) .

لأجل كل هذا يقف الخاطئ مرعوباً ومرتعداً أمام الديان العادل.

بالإضافة إلى الخوف من العذاب الأبدى (مت٢٥: ٤٦) فى

"النار المعدة لإبليس وملائكته" (مت٢٥: ٤١) "حيث البكاء وصرير الأسنان" (مت٢٤: ٥١) .

✠ ✠ ✠

ولكن الآن لايزال هناك مجال للنجاة من هذا كله .

أن نتوب ونرجع إلى الله. حينئذ لا نقابله بخوف، بل بفرح ، منصتين إلى وعده الكريم "أنا ماضٍ لأعد لكم مكاناً.. آخذكم إليّ، وحيث أكون أنا ، تكونون أنتم أيضاً" (يو١٤: ٢، ٣) . نعم، هناك معه نعيش في الفرح الذى لا ينتهى، الذى لا ينزعه أحد منا ...



تـوبـي يَـا نفسِـى
مَـادُمْـتِ فى الأرضِ سَـاكِنَـة

وقف المصلى مرعوباً ومرتعباً أمام الديان العادل من أجل كثرة ذنوبه.. ثم قال "توبى يا نفسى مادمت فى الأرض ساكنة. لأن التراب في القبر لا يُسبّح. ليس فى الموتى من يذكر، ولا فى الجحيم من يشكر. بل أنهضى من رقاد الكسل، وتضرعى إلى المخلص بالتوبة قائلة : إلهى ارحمنى وخلصنى.." .

حسن جداً أن يستيقظ الإنسان ويرجع إلى نفسه ..

لأن كثيراً من الناس يقعون فى غفلة ، ولا يدرون ماهم فيه. كإنسان يجرفه التيار، أو تلفّه الدوامة، فلا يحسّ بنفسه. وكما قال أحد القديسين إن غالبية الخطايا، يسبقها إما الكسل أو التهاون أو الغفلة . فيعيش الإنسان خارج نفسه. ولذلك حسناً قيل فى توبة الابن الضال إنه "رجع إلى نفسه" (يو١٥: ١٧) .

هنا الإنسان – فى توبته – يستيقظ . وحبذا لو استيقظ مبكراً.

ويقول مع المزمور "أنا اضطجعت ونمت، ثم استيقظت، لأنك أنت معى" (مز٣) . نعم طوبى للإنسان الذى يستيقظ مبكراً. فلا

يأخذه النوم مدة طويلة من الوقت . يستيقظ ويقول "هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل مرعوباً ومرتعداً بسبب كثرة ذنوبى" . وهنا يدرك أنه كما أن الله رحيم، هو أيضاً عادل، وهو أيضاً ديان. ويقول بولس الرسول "هوذا لطف الله وصرامته. أما اللطف فلك إن ثبت فى اللطف، وإلا فأنت أيضاً ستُقطع" (رو ١١: ٢٢) . إذن هناك أيضاً صرامة، يمكن أن تحكم بالقطع ...

✠ ✠ ✠

البعض يشبه علاقة الله مع البشر بالمرآة .

قد تنظر إلى المرآة، فترى وجهاً مبتسماً. وقد تنظر إليها فترى وجهاً متجهماً. والمرآة هى نفس المرآة. ولكنها تعكس الوجه الناظر إليها. وهكذا أنت فى حالة البر، ترى وجه الله القدوس المحب للبر. وفى حالة خطيئتك ترى وجه الله القدوس المشمئز من الخطية..

مثل ملاك الفصح : الذى كان للبعض سبب هلاك، وللبعض سبب نجاة، يرى الدم فيعبر عنهم (خر ١٢) .

البعض ينظر إلى الملائكة على أنهم رسل رحمة وحنو. ولكنهم أحياناً يكونون رسل دينونة وإهلاك وموت .

ملاك القيامة كان للمريمتين سبب فرح . وبالنسبة للجند الحراس، يقول الإنجيل "فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا

كأموات" (مت٢٨: ٤) . إذن هناك وقت ينظر فيه الإنسان إلى الملاك فيتعزى، بينما ينظر إليه في وقت آخر فيخاف.. حسب حالة القلب من الداخل ...

الملاك الذى أرسل لمعاقبة داود على خطيته، بسط يده على أورشليم لمعاقبتها. وملاك ضرب من جيش سنحاريب ١٨٥ ألفاً (٢مل١٩: ٣٥). ملائكة آخرون كانوا للإنقاذ مثل الملاك الذى أنقذ بطرس من السجن (أع١٢: ٧، ٨) .

كذلك الرب : فى وقت تتكئ فى حضنه مع يوحنا (يو١٣: ٢٥). وفى وقت آخر يقال "مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى" (عب١٠: ٣١) .

ومكتوب أيضاً فى نفس هذا الإصحاح "إن أخطأنا باختيارنا بعدما أخذنا معرفة الحق، لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا، بل قبول دينونة مخيف، وغيرة نار عتيدة أن تأكل المضادين.." (عب١: ٢٦، ٢٧). أيحدث هذا فى عصر النعمة؟ نعم، يتابع الرسول كلامه فيقول "..كم عقاباً أشدّ، تظنون أنه يحسب مستحقاً من داس ابن الله، وحسب دم العهد الذى قُدّس به دنساً، وإزدرى بروح النعمة .. لى النقمة، أنا أجازى، يقول الرب" (عب١٠: ٢٩، ٣٠) .

✠ ✠ ✠

نقول هذا، لئلا يظن البعض أن العقوبة كانت موجودة فى العهد القديم . أما العهد الجديد فكله حب، ولا عقوبة فيه !!

على هؤلاء أن يقرأوا عن الويلات التى حدثت من أبواق الملائكة السبعة كما ذكرها سفر الرؤيا (رؤ٨، ٩). وأيضاً ليقرأ عن السبع جامات التى سكبها الملائكة السبعة على الأرض والبحر والهواء (رؤ١٠) . وما قيل فى كل تلك الإصحاحات عن غضب الله .. كلام مخيف .

✠ ✠ ✠

بالإضافة إلى عقوبات الله، وعقوبات الأبدية، هناك عذاب الضمير .

قد يحتمل الإنسان إهانات واحتقار الآخرين له. ولكن من الصعب عليه أن يحتمل احتقاره لنفسه . لقد ذكر الرب "البكاء وصرير الأسنان" فى العذاب الأبدى (مت١٣: ٤٢) . ولكن لاشك أنه يوجد على الأرض أيضاً، بكاء وصرير أسنان .. من الندم وتأنيب الضمير ، وحسرة الخاطئ بسبب ما قد فعله، وهو يقول لنفسه : أين كان عقلى وقتذاك، وأين كان ضميرى؟!

إننا نقف أمام الديان العادل هنا على الأرض، وكذلك فى السماء .

هنا نقف أمامه حينما ندخل فى محاسبة النفس ، وننسى لذة

الخطية ومتعة العالم والجسد والمادة ، بل نرتعب من تذكار ذنوبنا.. ونلوم أنفسنا ونبكتها . وسعيد هو الإنسان الذى يبكت نفسه هنا، وتمحى بالتوبة خطاياه، قبل أن يقف فى اليوم الأخير مرعوباً ومرتعداً.. وقد صدق القديس مكاريوس الكبير حينما قال "احكم يا أخى على نفسك، قبل أن يحكموا عليك" .

وفى تبكيت الإنسان لنفسه يقول لها "توبى .. مادمت فى الأرض ساكنة" توبى، لأنه توجد الآن فرصة للتوبة وللمغفرة. قبل أن تسمعى صوت الرب القائل "أعطيتها زماناً لكى تتوب.. ولم تتب" (رؤ٢: ٢١) . صدق الذى قال :

الذين فى الجحيم يشتهون دقيقة واحدة من عمر الأرض، يقدمون فيها توبة ...

ولكن فاتت الفرصة ، وضاعت فترة التوبة ، مهما صرخوا وقالوا: ياربنا ياربنا، افتح لنا" (مت٢٥: ١١) فيجيبهم "اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم" (مت٧: ٢٣) "الحق أقول لكم إنى لم أعرفكم قط" (مت٢٥: ١٢) (مت٧: ٢٣) .

✠ ✠ ✠

إذن توبى يا نفسى ، مادمتِ فى الأرض ساكنة .

مادام باب التوبة لا يزال حتى الآن مفتوحاً، قبل أن يغلق بعد الموت. إن القديس مارافرام يقول "الويل للمتوانى الذى سيطلب

الزمان الذى أضاعه عبثاً.. اجتهد فى هذه الساعة الحادية عشرة، قبل أن ينتهى النهار .. فاغنم يومك هذا، قبل أن ينطلق ، قبل أن يهرب منك.." .

إن اليوم الذى يضيع من حياتك ، لا تستطيع أن تسترجعه .

قد تحزن عليه، وقد تقدم عنه توبة. ولكنك لا تستطيع أن تسترجعه. لقد انتهى. فحاول أن تعمل إذن لأبديتك فى هذا اليوم الذى تعيشه قبل أن يفلت منك، ويصبح أمساً لا عودة له . أتذكر أننى قلت مرة :

ما حياتى غير أمس ضائع .:. كلها أمسٌ إذا طال الأمدْ

إن يومى هو أمسٌ فى غدٍ .:. وغدى يصبح أمساً بعد غدْ

✠ ✠ ✠

أخشى أن كثيراً من الأبرار فينا: يقضون نصف العمر فى الخطايا، والنصف الآخر فى البكاء عليها!!

أو يقضون النهار فى ارتكاب الخطايا، والليل فى البكاء عليها..

أما المحزن حقاً، فهو أن يقضى الناس وقتهم فى ارتكاب الخطايا، ولا يجدون وقتاً للبكاء عليها..! وقد لا يجدون وقتاً للندم على خطاياهم، من انشغالهم بعد ذلك فى ارتكاب خطايا أخرى!!

وأنت ، تراك من أى نوع؟ هل من النوع الذى يبكى على

خطاياه فى صلاة النوم؟ ليتك تبكت ذاتك فى صلاة النوم، كل يوم..

✠ ✠ ✠

هناك إنسان لا يبكت نفسه على خطاياه، لأنه بار فى عينىّ نفسه !

لا يعرف لنفسه خطية يبكت ذاته عليها!! يقول ماذا فعلت؟!.. غالباً مثل هذا الإنسان مقاييسه الروحية غير سليمة، ومحاسبته لنفسه غير دقيقة، أو هو من النوع الذى يجامل نفسه، ويعذرها ويبررها فى كل ما تفعله.. أما أنت فلا تكن هكذا . وعليك أن تحيا حياة التدقيق، وتبكت نفسك على كل عمل خاطئ، وكل فكر منحرف، وكل كلمة بطالة ، وكل شهوة لا تليق ..

✠ ✠ ✠

اذكر كيف كان داود النبى فى كل ليلة يبلل فراشه بدموعه (مز٦). وكرر تلك العبارة التى نقولها فى الخدمة الثانية من صلاة نصف الليل : "**اعطنى يارب ينابيع دموع كثيرة، كما أعطيت فى القديم للمرأة الخاطئة**" .

وبعض الرهبان يصلونها هكذا: "إعطنى يارب توبة نقية، إعطنى يارب غفران خطية، إعطنى يارب ينابيع دموع كثيرة سخية، كما أعطيت فى القديم للمرأة الخاطئة" .. والبعض يلى هذه الصلاة بتفاصيل كثيرة فيقول "اعطنى يارب ينابيع دموع كثيرة

لأبكي على كذا وكذا" ويظل يسرد تفاصيل خطاياه وتقصيراته طالباً عن كل منها ينابيع دموع كثيرة ...

✠ ✠ ✠

ولكننا يا أخوتى ، نريد أن ندلل أنفسنا، ونقول لماذا نحزن ذواتنا بذكر خطايانا. ونفضل أن نقضى ليالينا فى متعة !!

بينما يقول ماراسحق "الليل مفرز لعمل الصلاة" . ويقول المرتل فى المزمور "فى الليالى ارفعوا أيديكم أيها القديسون وباركوا الرب" (مز١٣٤) . أين هى ليالينا المقدسة التى نقضيها فى الصلاة والتأمل والتوبة ، ونقول فيها "توبى يا نفسى مادمت فى الأرض ساكنة.." . إن كنتى لم تتوبى فى القديم، فتوبى الآن، ولو مع أصحاب الساعة الحادية عشرة، ولو فى آخر ساعات الحياة كما فعل اللص اليمين.. فالوقت وقت مقبول (٢كو٦: ٢) .

اطلب التوبة قبل أن يطلبك الموت .

إن كانت قد ضاعت منك ساعات النهار، وعطلتك مشاغل كثيرة، فلا تدع ساعات الليل تضيع منك. استغل بعضاً منها فى الصلح مع الله .. اطلب التوبة قبل أن يستغل الشيطان تهاونك ويقيدك أكثر فأكثر . واعرف أن الإنسان الذى يؤجل التوبة، إنما يعطى فرصة للخطية لكى تتعمق فى حياته . فتتحول العثرة إلى سقطة ، والسقطة إلى عادة، ثم إلى طبع !

لا تؤجل التوبة . لأنك لا تضمن أن تستمر زيارة النعمة التى معك الآن ...

لا تضمن رغبتك الحالية فى التوبة هل ستبقى أم ستفنى؟ ولا تضمن بقاء الفرص التى قدمها لك الله. كذلك أنت لا تدرى ما يقدمه لك عدو الخير من الحروب ، إن رأى تهاوناً منك فى التوبة. تذكر أن فيلكس الوالى لما ارتعد من حديث القديس بولس عن البر والدينونة والتعفف، ولم ينتهز الفرصة للتوبة، بل قال للرسول القديس "اذهب الآن. ومتى حصلت على وقت استدعيك" (أع٢٤: ٢٥) ، لم يقل الكتاب إنه حصل على وقت !!

كذلك لما تأثر أغريباس الملك، وقال للقديس بولس "بقليل تقنعنى أن أصير مسيحياً" (أع٢٦: ٢٨). ولم يستغل أغريباس الفرصة، ضاعت منه ...

فلا تقل إذن لزيارة النعمة: اذهبى الآن إلى أن يحصل لى وقت..

لا تكن مثل فيلكس واغريباس . ولا تكن مثل النبات الذى طلع قليلاً ثم خنقه الشوك، ولا مثل البذار التى التقطها الطير (مت١٣: ٤ ، ٧) . ولا تكن مثل العذارى الجاهلات اللائى ذهبن متأخرات لشراء الزيت (مت٢٥: ١٠) .

✠ ✠ ✠

يكفى الزمان الذى مضى . فلا تزد عدد خطاياك .

من الجائز أن يجلس إنسان إلى نفسه ليحاسبها ، فيرى أنه ارتكب عدداً من الخطايا: لو وُزعت على أهل العالم كله، لأصبح كل منهم خاطئاً! ولو وُزعت أفكاره الشريرة عليهم لتنجس الكل!!

لا تقل أنا صغير، وحينما أكبر سأتوب. ربما حينما تكبر، تصبح التوبة صعبة عليك، من فرط تعودك عليها وارتباطك بها وجريانها فى دمك. كما أن توبة الشيخوخة قد تكون رخيصة. لذلك قال الكتاب "اذكر خالقك فى أيام شبابك.." (جا١٢: ١) . ويكون جسدك قد ضعف، ولست أنت الذى انتصرت عليه.

لا تقل مثالى هو اللص اليمين! لا تضمن، فقد يكون مصيرك كاللص الآخر الذى كان وهو فى ساعات الموت يجدف على المسيح (لو٢٣: ٣٩- ٤١) .

✠ ✠ ✠

عندما تقول توبى يا نفسى، حوّل ذلك إلى توبة عملية .

لا تجعلها مجرد فكرة أو رغبة . فالابن الضال عندما قال "أقوم الآن وأذهب إلى أبى" قام مباشرة وذهب إلى أبيه (لو١٥: ١٨، ٢٠).

يقول المصلى لنفسه : توبى قبل الموت . لماذا ؟

لأن التراب فى القبر لا يسبح . ليس فى الموت من يذكر، ولا

فى الجحيم من يشكر .

بهذه الآية يمكن الرد على المشتغلين بعلم الأرواح الذين ينـادون بأنـه توجـد توبـة بعد المـوت !! نـرد أيضـاً بقـول الكتـاب فـى مثـل العذارى "واغلق الباب" (مت٢٥: ١٠). وبقول السيد المسيح لليهـود غير المؤمنيـن بـه "تموتـون فـى خطاياكم. وحيــث أمضــى أنــا لا تقدرون أنتم أن تأتوا" (يو١٨: ٢١) . وأيضاً قول أبينا ابراهيم لغنــى لعازر "بيننا وبينكم هوة عظيمة قد أثبتت. حتى الذين يريدون العبور مـن ههنـا إليكـم لا يقـدرون . ولا الذيـن مـن هنـاك يجتـازون إلينــا" (لو١٦: ٢٦) .

لذلك ينبغي التوبة من الآن ...

ونحن فى الجسد ، وفى العالم المادى . ننتصر على الجسد قبل أن نخلعه . حتى إذا ما خلعناه بالموت، نخلع جسداً تائباً . متذكرين قول الرسول "لأنه لابد أننا جميعاً ، نُظهر أمام كرسى المسيح، لينال كل واحد ما كان بالجسد، بحسب ما صنع خيراً أم شراً" (٢كو٥: ١٠) .



تُوبي يَا نفسِي
إنهَضِي مِن رُقادِ الكَسَلِ

كل إنسان يقول لنفسه "توبى". فالتوبة للكل، وليست فقط للمبتدئين فى حياة الروح .

ليس إنسان بلا خطية، ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض. إنما تختلف نسبة ونوعية الخطية .

يقول "توبى يا نفسى، لأن نفسه هى السبب فى الخطية، مهما كانت الأسباب الخارجية. لأن هذه الأسباب إن لم تخضع لها النفس فلا تخطئ .

حسناً أن يدعو الإنسان نفسه إلى التوبة، قبل أن يدعوه الناس إلى ذلك .

لاشك أن الدافع الداخلى هو الأقوى والأفضل. لأن الذى ليس له هذا الدافع الداخلى، ربما يتعب معه المرشدون والآباء الروحيون. وعلى رأى المثل العامى (اللى ما يجيش من نفسه، سوّاقه تعبان).

✠ ✠ ✠

هناك أسباب كثيرة تجعل الإنسان يقول لنفسه : توبى .

يوجد إنسان محبته لله عميقة جداً. وقلبه يلتهب بالنار إذا أخطأ، وضميره يبكته بشدة، فيقول لنفسه توبى .

وإنسان آخر حطمته الخطية، وتعب من نتائجها الرديئة ومن المصائب التى جرتها عليه، فيقول : توبى يا نفسى .

وإنسان آخر يتعبه مرض خطير أو تتعبه مشاكل معقدة، فيلجأ إلى الله ليصطلح معه، ويقول لنفسه توبى ، خوفاً من أن يكون الله قد تخلى عنه بسبب خطاياه، فأحاطت به الضيقات .

وإنسان أتته الفرصة أن يجلس إلى نفسه يحاسبها، فوجد أنه فى الموازين إلى فوق، فيقول توبى يا نفسى ...

✠ ✠ ✠

يحتاج الإنسان أن يكره الخطية ، لكى يتوب .

أما الإنسان الملتذ بالخطية، فليس فى نيته أن يقول "توبى يا نفسى" ، لأنه لا يريد أن يتوب !! كذلك الإنسان الذى لم يقتنع بعد بأنه فى وضع خاطئ. لذلك يحتاج أن يعدّل موازينه وقيمه، بترك ما هو فيه. فيقول "توبى يا نفسى" ...

توبى يا نفسى مادمت فى الأرض ساكنة .

لأن التراب فى القبر لا يسبّح. ليس فى الموتى من يذكر، ولا فى الجحيم من يشكر. فالإنسان بعدما يدخل جسده إلى القبر،

ويتحول إلى تراب، ليس من المعقول أن يسبّح الله. وإن كانت نفسه الخاطئة قد ذهبت إلى الجحيم ، فلن تشكر هناك، وليس أمامها مجال للتوبة بعد مفارقتها للجسد. لذلك يقول لها :

✠ ✠ ✠

إنهضي من رقاد الكسل ، وتضرعي للمخلص بالتوبة .

الشخص الروحي باستمرار حواسه مستيقظة ، وأفكاره منتبهة لله. يرقب كل شئ بوضوح . واخد باله من نفسه . أما الخاطئ فهو متهاون من جهة خلاص نفسه، يحتاج أن ينهض من رقاد الكسل، من الغفلة التي هو فيها .

✠ ✠ ✠

رقاد الكسل هذا، يشمل الجسد والروح كليهما: الجسد كسلان لا يسهر في الصلاة. والروح أيضاً كسلانة ومتهاونة . لذلك يدعونا الرب إلى السهر ويقول : "لتكن أحقاؤكم ممنطقة، وسرجكم موقدة." (لو١٢: ٣٥، ٣٦). لذلك يقول بعدها "طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين" (لو١٢: ٣٦) . ويقول أيضاً :

"لئلا يأتي بغتة، فيجدهم نياماً" (مر١٣: ٣٦) .

من جهة الجسد ، كان آباؤنا يسهرون الليل كله في الصلاة، كما كان يفعل القديس أرسانيوس .. وكما يُقال في أحد مزامير صلاة النوم "في الليالي ارفعوا أيديكم أيها القديسون وباركوا الرب"

(مز١٣٣) . ومن جهة الروح، يلزمنا السهر الروحي باستمرار (وقد أصدرت لكم كتاباً باسم : السهر الروحى). فعلينا أن تكون أرواحنا متيقظة ، لا تسمح لأى فكر خاطئ أن يدخل إليها ...

ولا يستطيع إنسان أن يعتذر بعدم قدرته على السهر فى الصلاة. لأنه كثيراً ما يسهر فى أحاديث تستهويه، أو فى برنامج تلفزيونى يجذبه. أو يسهر فى الإستعداد لإمتحان ، أو فى بحث مشكلة ما.. إن السيد الرب قد وبخ تلاميذه قائلاً: "أما قدرتم أن تسهروا معى ساعة واحدة؟! (مت٢٦: ٤٠) . إنه تأنيب لنا جميعاً.

✠ ✠ ✠

والسهر ليس معناه أن يستيقظ الإنسان، ولو فى أحاديث باطلة، إنما المقصود أن يسهر فى عمل روحى.

كما قال الرب لتلاميذه "أن تسهروا معى.." . يا ليتكم إذن تستطيعون أن تحفظوا مزامير وصلوات ، تستطيعون أن تصلوا بها فى الليل، ولو فى الظلام، دون أن يلاحظكم أحد.. إن كان أحد يتفادى أن يراه أقرباؤه ممسكاً بأجبية يصلى .

إن تدريب "تمضية الليل كله فى الصلاة" ، هو تدريب خاص بالقديسين. وكان يمارسه الآباء الرهبان. أما بالنسبة إليك، فعلى الأقل تقضى فى الصلاة ما تستطيعه من الليل. ولا تكن كأهل العالم

الذين يقضون الليل فى اللهو والعبث .. وصدق أحد الآباء حينما قال عن العمل الروحى :

من يكسب صداقة الليل، يمكنه أن يقضى النهار حسناً مع الله.

أى أن ما يختزنه من تأملات وأفكار روحية فى الليل، تصحبه كل هذه بالنهار، وتنقذه من حروب الخلطة مع الناس والإنشغال فى الماديات .

فكروا معى يا أخوتى : كيف نقضى ليالينا مع الله؟ وهل يوجد من هو ألذ من المسيح فى لياليكم. وما الثمر الذى تجنونه من كل ليلة؟ وهل ليالينا للجسد أم للروح؟ **ولاشك أنه حسب قضاء الليل، تكون أحلام الليل أيضاً** .. أمران أمامنا يجب أن نتفادى كلاً منهما: رقاد الكسل، والسهر الخاطئ. وفى السهر الخاطئ، رقاد للروح. فانهضى يا نفسى من رقاد الكسل، وتضرعى للمخلص بالتوبة ..

ما أجمل أن نتذكر قول داود النبى ، رجل الصلاة :

"أنى لا أدخل إلى مسكن بيتى، ولا أصعد على سرير فراشى، ولا أعطى لعينىّ نوماً.. إلى أن أجد موضعاً للرب ومسكناً لإله يعقوب" (مز ١٣١) .

فهل أنت هكذا لا تعطى لعينيك نوماً، إلا أن أوجدت للرب موضعاً فى قلبك، وفى قلوب الناس أيضاً؟ حاول أن تفعل هكذا.

سواء السهر فى الصلاة، أو السهر فى الخدمـة، أو فـى كليهمـا. ولا تترك نفسك لعبث الليل وملاهيه .

✠ ✠ ✠

إننـى حزين علـى الليـل الذى ضـاعت سـمعته، وأصبح مجـالاً للمغنيـن والمغنيـات، ولـلراقصين والراقصـات. حتـى أن عبـارة (النـوادى الليليـة) Night Clubs أصبحـت إسـماً سيئاً يسيطر عليـه الشيطان. ومن يتردد على هذه النوادى، تسوء سمعته ...

لذلك فالقديسون الذين يعيدون لليل كرامته، ويضمونه إلى ملكوت الله، لا ينسى لهم الرب تعبهم وسـهرهم وصلواتهـم.. هـؤلاء الذيـن يرون الناس نائمين فى الليل، فينفردون هم مع الله فى صلاة ومناجـاة.. كما يقول داود النبى "فى نصف الليل نهضـت لأشكرك علـى أحكام عدلك" "سبقت عيناى وقت السـحر، لأتلـو فـى جميـع أقوالـك" "كنـت أذكرك على فراشى، وفى أوقات الأسحار كنت أرتل لك" (مز ١١٩)

✠ ✠ ✠

نعم يا أخى، إن كان العـالم قد اشـترى منـك النهـار، وأعطـاك ثمنه وظيفة ومرتباً، فإنه يبقى لك الليل تقضيه مع الله. لا تمنعك عنه المشاغل التى أخذت منك وقتك بالنهار.. هذا الليـل فـى هدوئـه وفى صفائه، وفـى بعده عـن الخلطـة وعـن المعطـلات، هـو مجـال طيب لعلاقة مع اللـه، تبثـه أشـواقك، وتعتـذر فيـه عمـا شـغلك عنـه

بالنهار.. ولا عذر لك بالليل، إن تكاسلت عن الوجود فى حضرة الله.
وإن تكاسلت نفسك، واعتذرت بالتعب أو بالرغبة فى النوم، وبخها
قائلاً لها "انهضى من رقاد الكسل، وتضرعي للمخلص بالتوبة.." .

✠ ✠ ✠

صادق الليل ، الذى يشتهى صداقتك مقدماً لك هدوءه .

ومقدماً لك بعده عن ضوضاء العالم وضجيجه، وبعده عن الذين يعكرون صفو هدوئك باللقاءات والأحاديث .. لا تضيّع ثلث حياتك نوماً. إنما قطّع الليل بالصلاة. وحتى إن صعدت إلى فراشك، قدّسه بالمزامير وبالصلوات وبالأفكار الروحية، حتى يكون نومك طاهراً، والمضجع مقدساً. وصلواتك فى الليل تغرس فى عقلك الباطن أفكاراً مقدسة، تغذى روحك وتعينك فى محارباتك .

وكما يكون الله آخر من تتحدث إليه قبل نومك فى الليل، يكون الله أيضاً أول من تتحدث إليه حينما تستيقظ فى النهار. فيكون هو البداية والنهاية فى كل يوم من أيامك .

ما أكثر ما نعاتب الله كأنه لم يعطنا . وما أقل أن نعاتب أنفسنا، لأننا لم نعطِ الله ما يجب من وقتنا ...

لا تنم أكثر مما يحتاج جسدك. فالنوم الكثير يتعب جسدك بالخمول، ويتعب روحك أيضاً فى حرمانها من وقت يمكن أن يكون مع الله، لفائدتك.. أما اليقظة فتعطيك نشاطاً وحركة .. ليتكم حينما

ترجعون الليلة إلى بيوتكم ، تضعون أمامكم قول الرب "أما قدرتم أن تسهروا معى ساعة واحدة" (مت٢٦: ٤٠).

وكلما تكسل نفسك فى عملها الروحى، وبخها قائلاً "انهضى من رقاد الكسل، وتضرعى .." .

✠ ✠ ✠

لا تترك نفسك فى دوامة : ليل يسلمها إلى نهار، ونهار يسلمها إلى ليل، وكأنها فى غيبوبة أو فى غفلة، لا تدرى ما هى فيه. كمن هو فى دوامة، تلفه الأمواج وتسحبه معها إلى أسفل.. وإن حدث وأخذك النوم، قل لنفسك "أنا أضجعت ونمت، ثم استيقظت لأن الرب معى" (مز٣) . وقل "أنا استيقظت مبكراً" ..

قم من نومك ، كما قامت العذارى الحكيمات .

مصباحك فى يدك، وهو مملوء زيتاً. والزيت يرمز إلى الروح القدس. واسهر منتظراً العريس السمائى. لأنك لا تعرف متى يأتى: أمساء، أم نصف الليل، أم صياح الديك ، أم صباحاً" (مر١٣: ٣٥). فكن مستيقظاً باستمرار للقاء الرب .

✠ ✠ ✠

فحينما تطلب من نفسك أن تنهض من رقاد الكسل،
لتكن هذه دعوة دائمة تستمر مدى الحياة .

فى الواقع إن الكسل فى الحياة الروحية، إنما يضيع حياة

الإنسان. مثلما وبخ الرب الذى دفن وزنته فى التراب، ولم يتاجر بها ويربح، فقال له الرب "أيها العبد الشرير والكسلان.." (مت٢٥: ٢٦) . فهذا الذى لم يربح بوزنته ، اعتبر شريراً وكسلاناً ...

عليك إذن أن تربح روحيات لنفسك، وتربح نفوساً للمسيح .

وتربح نمواً لك وللكنيسة .. وتوبخ نفسك كلما تكسل، ولا تقبل منها أعذاراً فى ذلك مثلما قال الكسلان "الأسد فى الطريق ، الشبل فى الشوارع" (أم٢٦: ١٣) .. كل الأعذار يمكنك أن تنتصر عليها، إن كانت لك رغبة صادقة فى الحياة مع الله ...

✠ ✠ ✠

إن الشيطان يمكن أن يحاربك بمخاوف كثيرة، ويقدم لك تبريرات للكسل. فلا تسمع له .. واعرف أن أولاد الله ينبغى أن يكونوا شجعاناً، مثلما قيل عن حراس عرش سليمان إنهم جبابرة "كلهم قابضون على سيوفهم. ومتعلمون الحرب. كل رجل سيفه على فخذه من هول الليل" (نش٣: ٧، ٨) .

أولاد الله يكونون دائماً "حارين فى الروح" (رو١٢: ١١) .

وأنهم "غير متكاسلين فى الإجتهاد" . وكما قال لهم الرسول "كونوا راسخين غير متزعزعين، مكثرين فى عمل الرب كل حين. عالمين أن تعبكم ليس باطلاً فى الرب" (١كو١٥: ٥٨) .



أيتها العذراء الطاهرة

أيتها العذراء الطاهرة ،

اسبلى ظلك السريع المعونة على عبدك .

وابعدى أمواج الأفكار الرديئة عنى .

وأنهضى نفسى المريضة للصلاة والسهر،

لأنها استغرقت فى سبات عميق.

فإنك أم قادرة رحيمة .

والدة ينبوع الحياة ، ملكى وإلهى

يسوع المسيح رجائى

أهى صلاة أم إستشفاع ؟

غير الأرثوذكس، الذين لا يتشفعون بالعذراء القديسة مريم، لا يصلون هذه القطعة وأمثالها فى الأجبية، ظانين أنها صلاة موجهة إلى القديسة العذراء، بينما الصلاة هى لله وحده!

ولكننا لا نصلى أبداً إلى العذراء مريم.

إنما أثناء صلاتنا لله، نتحدث إليها، طالبين معونتها.

وهذا الأمر مألوف جداً فى الكتاب المقدس.

وبخاصة فى مزامير داود.

✠ ✠ ✠

١- أثناء صلاة داود فى المزامير، يتجه إلى نفسه ويخاطبها:

فيقول فى صلاته: "باركى يا نفسى الرب، وكل ما فى باطنى فليبارك اسمه القدوس. باركى يا نفسى الرب، ولا تنسى كل حسناته" (مز١٠٣: ١، ٢).

وهو يخاطب نفسه أثناء صلاته فى (مز ٤٢: ٥) ويقول "لماذا أنتِ حزينة يا نفسى؟ لماذا تزعجينني؟ توكلى على الله.."

ويقول لنفسه فى مزمور آخر "ارجعى يا نفسى إلى موضع راحتك، فإن الرب قد أحسن إلىّ" (مز ١١٦: ٧).

ويتحدث داود إلى نفسه فى صلوات الأجبية فيقول:

"توبى يا نفسى مادمت فى الأرض ساكنة. لأن التراب فى القبر لا يسبّح، وليس فى الموتى من يذكر..".

وأيضاً أثناء صلاته، يلتفت إلى نفسه ويقول لها:

"لو كان العمر ثابتاً، وهذا العالم مؤبداً، لكان لكِ يا نفسى حجة واضحة. لكن إذا إنكشفت أفعالك الرديئة وشرورك القبيحة أمام الديان العادل، فأى جواب تجيبين، وأنت على سرير الخطايا منطرحة، وفى إخضاع الجسد متهاونة؟!"

هل نقول هنا أن المصلى يصلى إلى نفسه؟ أهذا معقول؟! أم نقول إنه فى صلاته إلى الله، يلتفت إلى نفسه ويخاطبها، أمام الله..

✠ ✠ ✠

٢ - وكما يخاطب نفسه أثناء صلاته، كذلك يخاطب الملائكة:

فيقول فى (مز١٠٣) "باركوا الرب يا ملائكته المقتدرين قوة، الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه. باركوا الرب يا جميع

جنوده، خدامه العاملين مرضاته".

ولعله أيضاً كان يتجه إلى الملائكة حينما قال فى مزمور آخر:
"أرفعوا أيها الرؤساء أبوابكم، وارتفعى أيتها الأبواب الدهرية، فيدخل ملك المجد..." (مز ٢٤).

فهل نقول أن داود كان يصلى إلى الملائكة؟! كلا طبعاً. ولكنه كان يخاطبهم أثناء صلاته، وأحياناً بروح النبوة.

✠ ✠ ✠

٣ - بل إنه كان فى صلاته، يتجه أحياناً إلى الشياطين أو الأشرار ويخاطبهم.

وهكذا نراه وهو يصلى فى المزمور السادس، يتجه إليهم ويقول: "أبعدوا عنى يا جميع فاعلى الإثم. لأن الرب قد سمع صوت بكائى. الرب سمع صوتى تضرعى. الرب لصلاتى قبل".

✠ ✠ ✠

٤ - وداود أثناء صلاته يخاطب مجموعات كثيرة من الناس.

فنراه يقول فى مزمور كامل "ها باركوا الرب يا عبيد الرب، القائمين فى بيت الرب، فىديار إلهنا. فىالليالى أرفعوا أيديكم أيها القديسون وباركوا الرب" (مز ١٣٤).

ويقول فى مزمور آخر "سبحوا الرب أيها الفتيان. سبحوا الرب.

ليكن اسم الرب مباركاً من الآن وإلى الأبد. من مشارق الشمس إلى مغاربها، باركوا اسم الرب..." (مز ١١٣).

وفى مزمور آخر يقول "قدموا للرب يا أبناء الله، قدموا للرب أبناء الكباش. قدموا للرب مجداً وكرامة. قدموا للرب مجداً لإسمه. اسجدوا للرب فى دار قدسه.." (مز ٢٩).

ويقول فى (مز ٩٨) "سبحوا للرب تسبيحاً جديداً.. هللوا للرب يا كل الأرض. سبحوا وهللوا. رتلوا. رتلوا للرب بالقيثارة، بالقيثارة وصوت المزمار.. هللوا أمام الرب الملك".

(والمزمور ١٠٠) كله بنفس هذا الأسلوب "هللوا للرب يا كل الأرض .."

وكذلك (مزمور ٤٧) كله "ياجميع الأمم صفقوا بأيديكم ..".

فهل داود كان يصلى إلى جميع الأمم، وإلى كل الأرض؟! أم كان وقت صلاته، يتجه إليهم، ويدعوهم إلى الصلاة معه..

✠ ✠ ✠

٥ – وكان داود فى صلاته ، يتجه إلى أورشليم ويخاطبها:

فيقول فى (مز ١٤٧) "سبحى الرب يا أورشليم، سبحى إلهك يا صهيون. لأنه قوّى مغاليق أبوابك، وبارك بنيك فيك. وجعل تخومك فى سلام". ويقول لها فى (مز ٨٧) "أعمال مجيدة قد قيلت عنك يا مدينة الله"

فهل من المعقول أنه كان يصلى لأورشليم؟!

✠ ✠ ✠

٦ـ إن كان الأمر هكذا، وإن كان داود ـ بروح الله ـ قد اتجه إلى كل هؤلاء فى صلاته وخاطبهم.. فلماذا لا نتجه نحن أيضاً فى صلاتنا إلى العذراء ونخاطبها طالبين شفاعتها؟!

أيتها العَذراء الطاهرة :

إننا نطّوب العذراء فى بتوليتها، وفى أمومتها، وفى معونتها.

لقد عاشت عذراء، وولدت وهى عذراء، واستمرت عذراء بعد ولادتها للسيد المسيح، لذلك تلقبها الكنيسة بلقب "دائمة البتولية".

وهنا نناديها فى صلاتنا بعبارة "أيتها العذراء الطاهرة".

إن مجرد كلمة (العذراء) بدون ذكر اسم، تعنى العذراء مريم.

فهذا هو الإسم الذى اشتهرت به. وهو الاسم الذى ذكره اشعياء النبى حينما قال "ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل" (اش٧: ١٤). وهذه الآية هى التى طمأن بها الملاك يوسف النجار (مت١: ٢٢، ٢٣).

وبهذا اللقب نناديها فى صلاة النوم "أيتها العذراء الطاهرة".

دون أن نذكر اسمها. ولكن مجرد عبارة "أيتها العذراء" تكفى..

إننا نحب العذراء من أعماق قلوبنا، ونوقرها. وما أكثر التسابيح التى باسمها، وبخاصة فى الأبصلمودية الكيهكية. وما أكثر كنائسنا التى تُبنى أيضاً باسمها. وما أكثر ظهوراتها فى مصر ومعجزاتها..

أسبلى ظلك السريع المعونة :

والظل يعنى الحماية. كما نقول فى المزمور "الساكن فى ستر العلّى، فى ظل القدير يبيت" (مز ٩١: ١). وكما تقول عذراء النشيد عن الرب "تحت ظله اشتهيت أن أجلس" (نش٢: ٣). وكما قال الأنبا بولس البسيط لمعلمه الأنبا أنطونيوس "أعيش تحت ظل صلواتك".

وهنا ظل سريع المعونة. أى أن الشفاعة بها سريعة فى استجابتها.. وهذه نقطة إيمانية عملية، نشعر بها فى حياتنا.

وعبارة "أسبلى ظلك" معناها أدخلينا تحت حمايتك ورعايتك.

وفى اى شئ نطلب الحماية؟ يذكر المصلى هنا نقطتين :

أ – إبعدى أمواج الأفكار الردية عنى .

ب – أنهضى نفسى المريضة للصلاة والسهر .

إننا نطلب أن تبعد عنا الفكز الردئ، سواء فى الصحو، أو فىخيالات النوم إن نمنا. وهنا يبدو إيماننا بقوة شفاعة العذراء فى

حمايتنا من أمواج الأفكار الردية. ويساعدها على ذلك أمران: أمومتها، وقدرتها.

فإنك أم قادرة رحيمة :

إنها أم لنا جميعاً. إن كان السيد المسيح قال عن العذراء للقديس يوحنا الرسول الحبيب "هذه أمك" (يو١٩: ٢٧). وهذا القديس يقول لنا "يا أولادى" (١يو٢: ١). فبالتالى تكون العذراء أمنا، مادامت أم أب لنا... وبالتالى كانت هى الأم الروحية لجميع الرسل.

وهى أم المسيح بالجسد. وهو أيضاً يقول لنا "يا أولادى" (يو١٣: ٣٣) وهكذا تكون هى أمنا، لأنها أم أبينا "والدة ينبوع الحياة".

إننا لا ننظر إلى العذراء فقط كقديسة عظيمة، بل أيضاً كأم.

وليست كأم عادية، بل "أم قادرة رحيمة معينة".

وبهذا نثق فى قدرة شفاعتها، المبنية على حنان أمومتها، وعلى منزلتها العظيمة عند ربنا يسوع المسيح. وهكذا يقول المصلى عنها "والدة ينبوع الحياة ملكى وإلهى، يسوع المسيح رجائى"

ومادام رجاؤنا هو يسوع المسيح، فإننا نلجأ إلىأمه، ذات الشفاعة المقبولة التى تمت أول معجزة له، فى قانا الجليل، بشفاعتها" (يو٢: ٣).

الفهرست

المقدمة ٥

تفسير مزامير :

مزمور من الأعماق صرخت إليك يارب ٧

مزمور ها باركوا الرب ٢٣

مزمور سبحى الرب يا أورشليم ٣٧

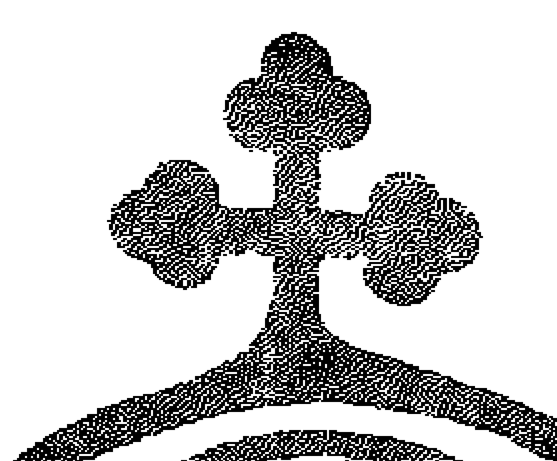
تأملات فى صلوات قطع النوم :

١ – هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل ٤٩

٢ – توبى يا نفسى مادمت فى الأرض ساكنة ٦٥

٣ – توبى يا نفسى انهضى من رقاد الكسل ٧٧

٤ – أيتها العذراء الطاهرة ٨٧



في هذا الكتاب

بسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد آمين

تقرأ في هذا الكتاب عن ثلاثة مزامير، هي:

١ - من الأعماق صرخت إليك.

٢ - ها باركوا الرب .

٣- سبحي الرب ياأورشليم

ونحدثك من قطع صلاة النوم عن:

١ - هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل.

٢ - توبي يا نفسي مادمت في الأرض ساكنة .

٣- انهضي من رقاد الكسل

٤ - أيتها العذراء الطاهرة

وهنا ما أكثر التأملات في موضوع التوبة.

البابا شنوده الثالث

